- ١ -

حين ركبت السيارة لم أكن أتصور أنني أبداً حياة جديدة لم تخطـر لى على بال . كل ما أذكره أننى كنت فرحاً وأنا أركب السيارة لتذهب بى إلى بيت عمتى ؛ فأنا أحب عمتى سعدية وأحب ابنها وجدى . كان حب عمتى لى يترجم دائما إلى شئ من المـال تنفحنى به . وأنا منـذ تلك السن الباكرة أعتبر المـال شيئاً هاماً غاية الأهمية . فمعنى وجود القروش فى جيبى أننى أحمل فى جيبى كل شئ تصبو إليه نفسى . وقد كنت منذ ذلك الحين وحتى الآن أحب أن أحمل فى جيبى كل ماتصبو إليه نفسى ، وكنت لا أشعر بالسرور حين أجد وجدى ينفق من المـال ما لا أستطع أنا أن أنفقه . ولم يكن يعنينى أنه ابن وحيد لأب غنى . وإنما كان يعنينى أن المـال دائماً يجرى بين يديه ، ويعنينى أن الخدم فى بيتهم لا أكاد أحصيهم عدداً ، وأن سيارتهم جديدة دائماً فى حين لا يملك أبى أية سيارة وهو يكتفى بذلك ، وأنا وهو أيضاً لا نكف من شكوى قلة المـال وكثرة الأعباء وكأنما أنا الذى أتيت به إلى الدنيا وليس هو الذى أتى بى إليها .

فذهابى إلى بيت عمتى سيغنينى — ولو إلى حين — من رؤية فقرنا والسماع إلى الشكوى من هذا الفقر وكأنما لا بد لى أن

أشقى بهذا الفقر بكل حاسة من حواسى الخمس .

لن أحتاج إلى بذل الجهود المضنية لأحتال على أبى حينا وعلى أمى أحيانا لأصيب شيئاً ضئيلا من المـال ... فلا عجب إذن أن أفرح .

ولكن ما هذا الحزن المتجهم فى وجوه من حولى ... ولكن ما شأنى أنا بمن حولى . المهم هو ما أشعر به أنا ... وهو دائما شعور مستقل عن الآخرين ... إن نفسى هى دنياى جميعاً ولا صلة لهـا بدنيا الآخرين ... أنا لا أنسى هذا اليوم . أنا فرح والآخرون فى حزن وتجهم . ولكن كأنما هؤلاء الآخرون يحيون فى دنيا أخرى لا صلة لى بهـا .

كان السائق صالح يقود السيارة وكانت معه الخادمة وصفية التى عملت عندنا منذ قريب لتساعد دادة تفيدة التى لا تكف عن قولهـا لى إنها أول من لقفنى من دنيا الغيب ، وإننى على ذراعيها عرفت أول مكان لى فى دنيا الناس بعد أن كنت مشروع طفل فى رحمة الأقدار .

وقد ظلت دادة تفيدة وحدها فى البيت حتى مرضت أمى وأصبحت دادة عاجزة أن تقوم بطلبات أبى وترعى شأنى فى وقت معاً فجاءت وصفية لتحمل عنها بعض العبء .

صالح صامت على غير عادته ؛ وصفية تشيح بوجهها عنى إلى الطريق وكأنما ترانى لأول مرة . وكلما ناديتها التفتت لى وفى

عينيها بداية دمعة أو نهاية دمعة . لم تكن هذه الدموع تعنينى فأنا أكلمها وكأنهما فى حالتهما العادية . فقد كنت أنا سعيداً . وما دمت سعيداً فأنا أحب أن أتكلم ، بل العجيب فى أمرى أننى أتكلم أيضاً وأنا غير سعيد . لمـاذا لا يتكلم الناس دائماً ! ؟ ولمـاذا يملون الاستماع إلىّ إذا استمر حديثى فترة طويلة ؟ ! ولكن ما شأنى أنا ملوا أو أقبلوا . فأنا أريد أن أتحدث ولو كنت إلى غير سامع أتحدث .

— أسطى صالح ألا تنوى أن تعلمنى السواقة اليوم ؟

— ليس اليوم يا أمين بك .

— لماذا ليس اليوم ... ماذا جرى اليوم ... هل هناك شئ ؟

وتترك وصفية دموعها ونظرها إلى الطريق وتسارع بالإجابة :

— لا ... أبداً ... وماذا يمكن أن يحدث ؟

— فلماذا تبكين ؟

— أنا ... أبداً ... أنا لا أبكى .

— كذا ؟ ! ... ربما ... ولمـاذا لا تعلمنى أنت السواقة يا أسطى صالح ؟

— عمك البيه يريدنى أن أذهب إليه بسرعة .

— طيب ... تعلمنى بكره ؟

— إن شاء الله .

وأمضى فى الحديث وتمضى بنا السيارة حتى غايتها . ما لى أرى

بيت عمتى فخماً دائماً . كلما أقبلت عليه أحس كأنما أقبل عليه لأول مرة . كل شئ فيه أنيق يروع العين ويأخذ النفس .

أنا لا أدرى لماذا أكتب هذا الكلام ... هذا الحديث جميعاً لماذا أسوقه ؟ ولمن أسوقه ؟ أنا لست أديباً ولا علم لى بفنون الكلام ، وقد تعود الناس إذا قرأوا أن يقرأوا أدبا . وقد سمعت بعض الأدباء يقولون إن الأدب شكل ومضمون وأنا لا أعرف ما معنى المضمون هذا .. إن كان مجرد حكاية وتجارب فأنا عندى هذا المضمون الذى يتحدثون عنه ، ولكننى لا أعرف شيئاً عن مسألة الشكل هذه . ففيم إذن أكتب . ومن تراه قارئ ما أكتب ؟ أنا أحب الحديث وألقى به على من معى وسواء عندى أصغى أو لم . ولكن الأمر هنا مختلف . فأنا شخصيا كإنسان لست راديو يمكن أن يقفلنى أحد بإدارة زر ، وقد يستحى السامع منى — وغالباً ما يفعل — ويضطر أن يبدل سمعه على كره منه أو غير كره . أو قد يتظاهر أنه يسمعنى ويسرح فيما شاء هو ... ولكن كل هذا لا يهم ، المهم أن أقول وأن أجد أذناً بشرية ولو غير صاغية . أما فى الكتاب فالأمر للأسف مختلف كل الاختلاف . فإن القارئ يستطيع بكل بساطة أن يطوى ما يقرأ ولا أقول أنا ولا يسمع هو . ولكن من يدرى ، لعل هذا الكتاب يجد من يصوغه ويحتال بصياغته على الناس فيقرأونه وعلى كل حال ماذا يهمنى أنا ... أنا سأكتب وليقرأ من يشاء وليمتنع عن القراءة من يشاء .

أحب من بيت عمتى سطح البيت . ملعب واسع ألعب فيه الكرة مع وجدى لا يضايق لعبنا أحد أو سيارة . لقد كان سطح البيت ملعباً خاصاً بنا . ولكننا مع ذلك نتوق أحياناً إلى الشارع فننزل إليه ونشارك الأطفال الآخرين فى لعبهم .

كنت أحب أن يكون لنا ملعب خاص ، وكنت فى نفسى أشعر بشبه غصة فى نفسى ان هذا البيت ملك لزوج عمتى وليس ملكاً لأبى . ومع ذلك كنت أحب عمى البيه كما أحب عمتى وفى نفس الوقت كنت أشعر أحياناً بكره شديد لهما جميعاً ولابنهما أيضاً . أنا أعرف مبعث الحب أما مبعث الكره فلم أكن أعرفه . وحتى الآن لا أدرى إن كنت تبينته أم لم أتبين أمره فى نفسى . وعلى أية حال هل الحب الذى كنت أكنه لعمتى ولزوج عمتى ينبعث من عاطفة صادقة غير مدخولة ولا معتمدة على منافع أم هو حب يشتريانه منى بما يقدمان إلى من مال ... هذا أيضاً لم أكن أدريه وما زلت أجهله .

استقبلنى وجدى .

— شفت كرتى الجديدة .

— هايله .

— هيا نلعب بها .

وصعدنا إلى السطح ... وأذكر الآن أن البيت كان هادئا صامتاً على غير ما وعدونى . وأذكر أيضا أننى لم أحاول أن أجد

سبباً لهذا الصمت فقد كانت الكرة الجديدة مغرية باللعب وكان السطح فى انتظارنا . وبينما نحن منهمكان فى اللعب تذكرت فجأة أننى مفلس تماما .

— أين عمتى ؟

— لا أعرف .

— ومتى ترجع ؟

— الظاهر أنها ستتغدى خارج البيت .

— ياه .

— عايز منها حاجة .

— لا أبداً ... اشتقت اليها فقط .

* * *

عادت عمتى سعدية متأخرة ولكننى انتظرتها وأنا أغالب النوم فلا أدرى لماذا صممت فى تلك الليلة ألا أبيت خاوى الوفاض . شىء جديد بدا من معاملتها لى . لقد كانت تحنو على دائما ولكنها فى هذه الليلة كانت أكثر حنانا ... اهتممت بهذا الحنان ولم أحاول أن أجد السبب الذى يقف وراءه . الحنان فى ذاته يكفى .

كانت فى كل مرة تعطينى خمسين قرشاً ، فان بالغت فجنيها ... إنها اليوم تنفحنى خمسة جنيهات ... ليذهب النوم إلى الجحيم . هذا نوع من الورق لم يعرفه جيبى مملوكا له أبدا وإن كان قد عرفه



رسولا بالجنيهات الخمسة من أمى إلى أبى أو من أبى إلى أمى . أما أن تكون الجنيهات ملكاً خالصا لى وأضعها فى جيبى فهذا لا شك جديد ... لـــاذا ... ؟ لا يهم . المهم أن الجنيهات الخمسة جميعا فى جيبى .

— آمين ... ما رأيك أن تبقى معنا هنا ؟ .

— قــوى .

— صحيح ؟ .

— طبعـــا .

— ستكون مثل وجدى ... انت عارف .

— عارف .

— إذن هيا لتنام وغدا ننزل نشترى لك حاجات كثيرة .

— تنزلين معى .

ولا أدرى لـــاذا تبادرت دموعها وهى تقول :

— أنا سأكون مشغولة ... صالح سينزل معك .

— طيب ... أنا سأكون جاهزاً مع الشمس .

ولم أهتم بالنشيج الذى ودعنى وأنا أقفل الباب من خلفى .

* * *

— ٢ —

لم تكن ساعات كثيرة قد مضت من صباح اليوم التالى حتى عرفت أن أمى قد ماتت . وطبعاً أدركت سر الدموع التى كانت تحيط بى . هذا لا يهم . المهم أن أحصل لنفسى على دموع مثلها ؟؟ من أين . أنا لم أبك فى حياتى هذا النوع من البكاء أبداً . ان هذه الدموع لا تعرفها عيناى ... يبدو أنها لم تكن قد وجدت فى كيانى ولست واثقاً أنها تكونت حتى الآن . أنا أعرف الآن أن هذا النوع من الدموع لا ينبع فى النفس إلا مع السن المتقدمة بعض الشئ . ومع ذلك فأنا لست واثقا أنها موجودة الآن . لعلى لم أبلغ سن الحزن بعـــد .

لا . إنى على كل حال كنت فى حاجة الى دموع ... أى نوع من الدموع . المهم أن تساقط عيناى نقطتين من المـــاء . ولكن من أين ؟

أخفيت عينى بظاهر يدى ورحت أدعك العينين منى لعل الاحمرار يصيبهما ان لم يكن إلى الدمع من سبيل ... ثم جريت . استعنت بماء الصنبور فأمدنى بما يكن من الدموع وقصدت إلى عمتى .

أكاد أعرف الوجه الذى طالعها منى ... وجه طفل فيـــه عيناى حمراوان منسجمان تماما مع الدموع الهاطلة تملأ وجهى جميعا .

— الله ماذا جرى يا أمين ؟ .

— ماما .

قلتها وشهقت فقد كنت واثقاً أنه لا بد من هذه الشهقة ... وتأكدت من هذا الرأى لـــا رأيت الدموع تنساب من عينى عمتى وهى تقول :

— وأنا أقول انك رجل .

ولم أجد شيئاً أقوله :

— ماما .

— تعال خذ ... خذ هذه .

يبدو أننى وفقت فى اختيار الفعل واللفظ معا . وعدت أقول

— ماما .

— ألا يرضيك أن أكون أنا ماما ؟ .

ووضعت الجنيهات الخمسة فى جيبى وأنا أشهق مرة أخرى .

— ماما .

— هيا اغسل وشك وتعال ... أين وجدى ؟ .

وفى شهقة أخرى قلت :

— فى حجرته .

— ماذا ستفعلان اليوم ؟ .

— لا شئ .

— كيف لا شئ ... هناك مفاجأة لك .

وفى خفقة الفرحة بلقاء المجهول السعيد قلت .

— ماما .

ولعلنى كنت أريد أن أجمل المفاجأة أعظم مما هى .

— وبعد لك ... عمك اليه سيشترى لك هدية عظيمة ستفرح بها جداً ولم أستطع أن أحافظ على مظهرى ووجدت نفسى أنسى الموقف الدرامى الذى صنعته لأقول فى تشوق فرحان :

— صحيح ... ما هى ؟

— ستعرف ... فقط اغسل وشك وغير ملابسك ... بابا سيأتى الآن .

لاتجعله يحس أنك لست رجلا .

— بابا سيأتى .

— نعم .

— لـــاذا ؟

— ليراك .

— هل سيأخذنى .

— هل تريد أن تذهب معه ؟

— لا ... أريد أن أبقى معك .

— ألم نتفق على هذا ؟

— نعـــم .

— إنه سيأتى ليراك فقط .

* * *

جاء أبي ومعه حقائب فيها كل ملابسي . وما كانت ملابسي لتملأ أكثر من حقيبة واحدة ولكن يبدو أنه خجل أن يأتي بها جميعاً في حقيبة واحدة . ومع الحقائب جاءت وصفية لتبقى معي في بيت عمتي .

وسألني أبي .

— أينقصك شئ ؟

ولم أستطع أن أقول :

— ينقصني كل شئ .

خجلت أن أقولها وقلت الجملة التي ينتظرها .

— لا .

ولم تبق عندي بقية من ماء لأسفحها في شكل دموع وإنما تظاهرت بما يشبه الحزن ولما استعصى على ارتجال الدمع أطرقت مخفياً وجهي جميعاً .

— كن رجلا . واسمع كلام عمتك ولا تضايقها ... أنت تعرف كم تحبك وكم يحبك عمك البيه .

— نعم أعرف ؟

قلتها وأنا مطرق وفي نغمة أتقنت إخراجها . وقالت عمتي :

— سليم . لا شأن لك بأمين ولا تتدخل بيننا .

— أمرك يا ستي ... خذ يا أمين .

جنيه .. أخذته طبعاً . وداخلني شعور أن أبي وعمتي يريدان

مني أن أنصرف . فكرت أن أتغابى وأبقى ، ولكن لم أجد لذلك داعياً وخرجت وأحسست وأنا أمسك بضلفة الباب .إنهما سيتكلمان في شأن من شئوني فلم أقفل البـــاب وجعلته مردوداً .

أرادت عمتي أن تحولني إلى مدرسة وجدي الأجنبية لأتعلم لغة ولكن أبي أصر على أن أبقى بمدرستي التي تعودت عليها وانتهى إلى ذلك رأيهما وفرحت أنني لن أغير مدرستي . فإن كان لابد من مدرسة فلتكن التي أعرفها .

* * *

حين بدأت الدراسة تغير الوضع تماما بالنسبة لي . لقد بدأت أرى من عمتي وجها آخر غير وجه التدليل وإغداق المـــال . أما وجدي فقد انقلب من لاعب عربيد إلى تلميذ يلح في المذاكرة إلحاحاً في انتظام دقيق وإصرار .

كانت مذاكرة وجدي هذه هي العقبة التي تقف في وجهي . فقد كنت أستطيع أن أخالف أوامر عمتي وألعب ، ولكن مع من ألعب وقد تكشف لي وجدي عن تلميذ غبي لا يترك المذاكرة يوماً .

حاولت أن أتغلب على هذه العقبة بالنزول إلى الشارع واللعب مع الآخرين فنشأت أمامي عقبة أخرى تمثلت في تفيدة التي تصر أن تبلغ عمتي بإهمالي المذاكرة ونزولي إلى الشارع دائماً . فاذا

عمتي تصدر الأوامر ألا أخرج من البيت من الساعة الخامسة إلى الثامنة وفي مرة حاولت أن أكسر هذا الأمر . فجئت إلى البيت متأخراً بعد أن أصبت من اللعب ما أحببت ، فاذا عمتي ترسل وصفية مع صالح السائق إلى الميدان الذي ألعب فيه أمام المدرسة . ووجدت نفسي أمام عمة أخرى ... لا تعطي نقوداً ولا تتلطف وإنما هي لأول مرة في حياتي تضربني .

هالني الأمر ..

كيف تضربني . لو غيرها الذي فعل ذلك ما اهتممت . أما هي ... هي بالذات ، فلا بد من إجراء سريع وحاسم . ولا بد أن تعرف أن ضربي هذا لا يمر سهلا دون عقوبات أوقعها أنا عليها . فأنا لا أقبل إطلاقاً أن تغير معاملتها لي .لقد تركت بيت أبي لأنهم هنا يحسنون معاملتي . أما إذا بدأ الضرب فلابد أن أريهم أي شيء خطير أنا .

لم أعد أذكر من عمتي غير الضرب . نسيت كل ما صنعته من أجلي ، بل لعل هذا الذي صنعته يزيد من إصراري على الانتقام . ونسيت أيضا لطف عمي البيه، والمفاجأة التي تمثلت وقت ذاك في كرة جديدة من أحسن صنف مع حذاء كرة لا يلبسه إلا اللاعبون . هذا جميل في ذاته ولكن ما فائدته إن لم ألعب به . وكل هذا لا يبيح لهـــا أن تضربني .طبعاً لم أفكر في العودة إلى أبي فهذا شيء بعيد الاحتمال لا يجوز أن أفكر فيه ولكن أيضا السكوت على هذا الضرب محال ... إن لي معهم لشأنا أي شـــأن .

* * *

انتهى الرأي عندي إلى الانتقام ، ولكن نوع الانتقام لم يبد لي في الوضوح الذي أتمناه . فكرت أن أشرك وجدي معي ولكن سرعان ما طردت هذه الفكرة .

ما شأن وجدي ؟ ومم ينتقم ؟ إنه يذاكر كحمار وهو في حالة صلح تام مع والديه . فكرت في وصفية ... ما أجمل قوام وصفية . إنها تكبرني بثلاثة أعوام فقط ولكن هذه الأعوام الثلاثة قد فعلت بها الأفاعيل . طويلة القامة واضحة الصدر لهـــا ابتسامة تحسن صنعها . ولشعرها تهدل حلو كأنه دفقة ماء وافرة من ساقية ذات ماء فياض . ووصفية لناء العود ان تميل به ؛ فإن مشت خيل إليك أنها لا تريد أن تطأ الأرض الا مسا هينا كرعشة إصبع على وتر عود .

ولكن ما شأن هذا جميعه برغبتي في الانتقام . لا أدري ؟ فكرت في وصفية أن تشاركني في الانتقام وكنت أريد أن أحصل على موافقة منها على مبدأ الانتقام في ذاته . أما نوعه فهين وتمكن أن أبحثه معها فيما بعد .

ولكن هالني منها أنها تبذل الكثير من الاحترام والحب لعمتي . وهي في معاملتها لي حريصة كل الحرص أن تنفذ الأوامر الصادرة إليها . ولكن هذا الحرص لم يمنعها أي تصنع أشياء أخرى ما أظن أن عمتي أمرتها بها . فقد كانت في كثير من الأحيان تنام إلى جانبي وتحتضنني في عنف وكنت أجد ذلك في نفسي مشاعر تترجح بين

الإقبال والدهشة ولكننى مع ذلك لم أكن أضيق به أبدا .

ما أظن عمتى كانت تأمر بهذا .

وحين كانت تقوم بحمامى كانت تقوم بأشياء لا أعتقد أن عمتى كانت تأمرها بها ، وحين كانت تختار أن تلعب معى العريس والعروس كانت تذهب فى اللعبة إلى مدى كنت أحس فيه أنه لا ينبغى أن يعرفه أحد . وكانت هى دائما تقول لى إياك أن تخبر أحداً بهذا الذى نصنع وإلا كففنا عنه إلى الأبد . والحقيقة أنى لم أكن أحب أن نكف عنه وإن كنت لا أدرى لمـــاذا لا أحب أن نكف .

مع كل هذه الأسرار التى تجمعنى ووصفية لم أجد فى نفسى رغبة أن أخبرها بعزمى على الانتقام .

والآن أصبحت أنا وحدى صاحب السر الرهيب ... سر الرغبة فى الانتقام دون أن أدرى كيف يكون الانتقام .

تركت الفكرة تغوص فى نفسى وتتمكن وأصبح شغلى الشاغل هو التفكير فى الوسيلة بعد أن أصبح المبدأ شيئاً غير قابل للمناقشة .

أصبحت لا أخرج للعب . وكنت أصحب وجدى ووصفية إلى السينما كل أسبوع وأمنت لى عمتى وأصبحت تظن أننى أبقى فى البيت وأذاكر وأننى نسيت تماما ضربها لى .

ولم تكن تعلم أن بقائى فى البيت لم يصنع شيئا إلا أن نكثر من لعب العريس والعروس أنا ووصفية وأننى بعد مداومة هذه اللعبة

أصبحت أجد فيها لذة ربما تفوق اللعب بالكرة ومع ذلك لم تتخل عنى فكرة الانتقام بل ظلت تعمق فى نفسى وتعمق حتى أصبحت جزءاً طبيعياً منى لا أتصور نفسى من غيرها .

اللذة الأخرى كنت أجدها مع صالح السائق الذى كان يعلمنى قيادة السيارة فى كل يوم ونحن عائدون إلى المنزل وكنت فى مقابل ذلك أعطيه ما أطيق وأحيانا ما لا أطيق من المـــال .

كنت من داخل أوامر عمتى أعيش فى متعة دائمة . ومع كل ذلك لم أكن متأخراً فى دروسى ، فقد كنت فى المدرسة أنسى كل شئ إلا الدرس الذى يلقيه علينا المدرس وكان هذا كافياً أن يجعلنى تلميذاً معقولا لا يلفت النظر بخيبته ولا يلفت النظر أيضاً بتفوقه ، وكانت راضية عن موقفى هذا من التعليم .

* * *

كان عمى البيه يصحبنا فى الاجازات إلى قريته وكنت أجد فى هذه الزيارات للقرية متعة كبيرة .

وفى ليلة أخذتنا عمتى . إننا سنذهب فى غدنا إلى القرية وان بعض الضيوف سيصحبوننا فى رحلتنا هذه .

لم يهمنى شأن الضيوف وفرحت بخبر الذهاب إلى القرية .

استيقظنا فى باكر الصباح وما هو إلا الوقت اليسير حتى كنت على أتم استعداد للرحلة .

وجاء الضيوف . انهم عبود بك السيد الموظف الكبير بوزارة الزراعة والسيدة وسيلة التى أمرت أن أقول لها تنت وسيلة فقلت . ومعهما ابنتهما حميدة .

حميدة ذات جمال أخاذ رائع ولكن الأسماء فيما أذكر أدهشتنى وقد ظللت أفكر فى هذه الأسماء حتى اليوم . وأحسب أننى انتهيت فيها إلى شئ لا يخلو أيضا من الغرابة ، فقد خيل لى أن اسم وسيلة هو الذى جعل عبود بك يتزوجها مستبشرا أن يتزوج بوسيلة . فبالوسيلة يستطيع أن يترقى فى وظيفته . أما حميدة فقد حيرنى أمرها . ما الذى يجعل إنسانا يسمى ابنته حميدة والأسماء البراقة تملأ الدنيا وفكرت فى يوم ما أن رئيسا لعمى عبود أصدر قرارا وزاريا بتسمية ابنة الموظف الذى يعمل بوزارته حميدة فنفذ الأمر . وكنت أظن أننى بهذا التفكير أخبر من عمى عبود . ولكن مع الأيام اتضح لى أن ما فكرت فيه هازلا ساخرا هو الجد عين الجد . فاسم حميدة هو اسم أم وكيل الوزارة الذى ولدت حميدة عبود فى أثناء توليه منصبه . وعرفت بعد ذلك فيما عرفت أن عبود بك تقدم إلى وكيل الوزارة ..

— ولدت لى بنت وكنت أنوى لو جاءت ولداً أن أسميه باسمك .

— يا سيدى بسيطة . سمها على اسم أمى فأمى عندى أعز من نفسى فكانت حميدة .

ذهبنا إلى القرية ولازمتنى حميدة طوال الوقت فقد ظلت تنت وسيلة مع عمتى . وذهب عمى عبود مع عمى البيه لينظرا فى أمر حديقة الموالح الجديدة التى ينشئها عمى البيه ورافقهما وجدى الذى يزداد فى كل يوم إصراراً أن يصبح رجلا مهما .

فلم تجد حميدة من تمكث معه إلا أنا . كنت وإياها نبتاً أخضر بدأت تجرى فى عروقه مياه التباشير الأولى للشباب . فالحجرة تغشاها ان مدحت جمالها . وبريق من السعادة يطلق بعض الشرر من عينيها ثم ما تلبث أن تطبق على الجفن جفنا فيختفى الشرر ليفسح المجال لهمهمات صامتة من الخجل . وأنا لا يعنينى الخجل فقد عرفت الجرأة فى أحضان وصفية . ولكن مشاعرى مع حميدة تراوحنى بأنسام جديدة . فالخفقات التى تهزنى غير الخفقات التى أعرفها والنبض غير النبض والمشاعر عندى نوع جديد من السمو والرفعة ان ذكرت حميدة زجرت التذكر بدفقات سماوية لا عهد لها بى ولا عهد لى بها .

كان عمرانا يومذاك على مشارف المعرفة وإن لم يبلغاها . فلم تخف أمها أن تتركها معى . كنا فى تلك السن التى يتحسس فيها الشباب طريقه إلى نفوسنا . لم يتمكن ولم يبعد . قريب بعيد . يسمع منه همسات ودبيب خطى ولكن الهمس غمغمة لا تبين والدبيب مترنح غير ثابت .

كنا فى هذه الأيام التى نرى العالم جميعه لا شئ فيه إلا الجمال .

تلك الأيام الخادعة التي تجعل الطفل الكبير منا يظن أن الدنيا ما خلقت إلا لتكون طوع أيدينا ونفاذ أمرنا وتحقيق ما شئنا قبل أن نطلبه .

فى مدرسة الليسيه هى وأنا فى الابراهيمية . فحى واحد يجمعنا . وأبوها صديق عمى والطريق بيننا موصولة والحياة منسوجة من خيوط الورد والذهب ... والحياة ... ما أجمل الحياة .

- ٣ -

كثرت زيارات تنت وسيلة لعمتى وكانت تصحبها دائما حميدة . وكنا دائما نجد الحديث بيننا .

إلا أن أسبوعاً مر دون زيارة منها . ووجدت نفسى متلهفا لرؤيتها . ولم تجد زيارات وصفية الليلية أن تخفف من لهفتى ورحت أفكر فيما أستطيع أن أفعله . لماذا لا أذهب إلى مدرستها .

ألم بى الخوف أن أفعل . فقد أجلت الذهاب يوماً ثم يوماً آخر ثم ذهبت وأنا لا أعرف ماذا أنا قائل أو فاعل إذا لقيتها . كنت قد تعودت أن أرجع إلى البيت وحدى بعد أن أصبحت السياره مشغولة دائماً مع عمى فقد كثرت أسفاره إلى القرية وأصبح انتظامها فى احضارى أمراً مستحيلا . وأنا أيضا أصبحت لا أتأخر عن البيت فلم تر عمتى ضرورة أن ترسل من يصحبنى ونسيت عمتى أنها ضربتنى يوماً ولكننى أنا لم أنس أننى لابد لى أن أنتقم . وإن تكن مشاعرى الجديدة قد أجلت فكرة الانتقام إلا أنها

بالتأكيد لم تلغها تماما .

شارع مدرسة الليسيه ليس متسعاً . وقفت على الطوار المقابل فى انتظار خروجها . كنت لأول مرة فى حياتى مضطرباً .

خرج التلاميذ من صبيان وبنات وبغباء شديد كان يخيل إلى أن كلهم يعرفنى ويعرف لماذا جئت إلى هذا المكان . فأعطى المدرسة ظهرى ثم أخشى أن تخرج ولا أراها فأعود مرة أخرى متطلعاً إلى التلاميذ .

وخرجت . وانني .. رأيت حمرة على وجهها ورأيت فكرة ابتسامة لم تتم ، وسارت طريقها فمشيت من ورائها . كانت معها تلميذتان لم أنظر إلى شكلهما تماما فقد كان الاضطراب يسود جسمى جميعاً وعينى خاصة .

نظرت إلى تلميذة منهما ثم نظرت الأخرى ثم وجدت الركب يسرع الخطى بقيادة حميدة ولم أطق أن أكمل الطريق فملت عند أول شارع وتهت وعدت إلى البيت ولحسن الحظ لم تكن عمتى هناك لتسألنى أين تأخرت .

لم يمر على هذا اللقاء يومان حتى جاءت تزورنا مع والدتها . وعند أول فرصة لحقت بى .

— أريد أن أكلمك .

— فصعدت إلى السطح .

وجدت كومة الجرائد فوق السطح ووجدت السطح مليئاً



بالغسيل المنشور . لم تعبأ هى بشىء من هذا وإنما بادرتنى .

— لماذا جئت ؟

كنت أعرف أنها ستسألنى ولكن لا أدرى لماذا وجدتنى فى حاجة أن أجلس .

جلست على كومة الجرائد وسكت .

— لماذا تسكت ؟

شعرت أنى عطشان . ذهبت إلى حجرة الغسيل وشربت ماء من الصنبور ووجدت علبة كبريت وفكرت أن أنتقم من اليوم الذى ضربتنى فيه عمتى . الفكرة لا تزال تلح على .

وضعت علبة الكبريت فى جيبى وعدت إلى حميدة فوجدتها قد جلست على الجرائد وعادت تسأل فى إصرار :

— لماذا جئت إلى المدرسة ؟

— وأنت لماذا لم تأت لزيارتنا هذه المدة الطويلة ؟

— ألهذا جئت !

— ألا تعرفين لماذا جئت !

— ألم تخش أن تحرجنى ؟

— هل أحرجتك ؟

— تحية تقول انك جميل ... هل أنت جميل ؟

— سأبحث هذا الموضوع عند أول لقاء بمرآة .

— لا تبحثه .

– هل أناقبيح ؟

تقول انك فى غاية الجمال .

– وما رأيك فى ذوق تحية ؟

– لا تأت مرة أخرى إلى المدرسة .

– وأنت لا تتأخرى فى الزيارة .

– ليس بيدى أن أزوركم أولا أزوركم فأمر هذا بيد ماما وأنت تعرف .

– كل الذى أعرفه أنه يجب ألا تتأخرى فى الزيارة .

– اذا تأخرت لا تأت إلى المدرسة .

– أكلمك فى التليفون .

– أهون ... نعم كلمنى ... هيا قبل أن يسأل عنا أحد .

– انتظرى .. لى حساب أريد أن أصفيه .

– مع من ؟

– مع أصحاب هذه الملابس .

– عمتك .

– ألا ترين أنهم يملكون ملابس أكثر مما يجب !

– وماذا تريد أن تفعل ؟

– اجعل منها كمية معقولة .

– كيف ؟

– سترين .

كانت قد قامت عن الجرائد فجريت الكوم إلى أن أصبح تحت أحد الحبال العامرة بالغسيل وأشعلت الجرائد .

– أنت مجنون .. ستحرق البيت .

– بعض الملابس فقط ... هيا بنــا .

كان لون حميدة ممتقعاً وهى تنضم إلى والدتها وعمتى فسارعت أمها : ماذا بك ؟

– لا شئ .

وخرجت أنا قبل أن تلح عليها فى السؤال .

وما هى إلا لحظات حتى وصل دخان الحريق إلى بعض الخدم وتلاحقت الأرجل فى رعب إلى السطح ولم أجد شيئا أصنعه .

خيل إلى أنهم كلهم يعرفون ... فجريت أهبط السلم كنت الوحيد الذى يهبط والجميع يصعدون .

حين أصبحت فى الشارع . وجدت نفسى دون أن أعرف أذهب إلى أين .

قابلتنى تفيدة .

دقت صدرها بمجرد أن وقع نظرها علىّ .

– أمين مالك ؟

– مالى ... لا شئ .

– لا ... انت عامل عملة .

– عملة ... عملة إيه .

– وشك كالبفتة البيضاء .. انت عامل عملة !

– أين أبى ؟

– فى حجرته .

لم أصدق أننى نجوت من عينيها النافذتين .

– أهلا أمين .

– كيف أنت يا بابا .

– هيه أترى جئت لأنك مفلس .

– أبداً والله فقط اشتقت إليك .

– كنت الآن ذاهباً إليك .

– لو كنت أعرف لانتظرتك .

– خيراً فعلت على كل حال ... نذهب معاً .

كنت أريد أن أعرف نتائج الحريق .

لقينى عمتى بوجــه متجهم ، وكان واضحا أنها تحاول أن تكتم أمراً فهى تغالب الغيظ فى عنف شديد .

– أهلا سليم .

– وجدت أمين يهبط على فجأة وكنت أنوى أن أجئ إليــك .

والتفت إلى عمتى بوجه يزداد تجهما :

– لمــاذا خرجت دون أن تخبرنى يا أمين ؟

– أردت أن أذهب لأبى .

– وأنا كيف أعرف أنك ذهبت لأبيك ..

وتدخل أبى مسرعا (مسارعا) .

– كيف لم تخبر عمتك ؟

وأطرقت . كان يجب أن أقول شيئا يفيد أننى آسف ولكننى لا أحب . وكنت أعلم أيضاً أن السؤال لم يكن على الخروج . لم أجد شيئاً أفعله خيراً من ترك الغرفة . وقبل أن أصل إلى الباب لحق بى صوت عمتى .

– اذهب إلى غرفتك يا أمين .

وقفت هنيهة قدر ماسمعت الأمر الصارم الذى أفهمنى أشياء كثيرة وخرجت لم أستطع أن أذهب إلى الغرفة وانما صعدت إلى السطح . وجدت آثار الحريق . لم تكن بشعة – لقد استطاعوا أن يتحكموا فيه سريعا ويقول صالح :

– لولا أن الغسيل كان ما يزال مبلولا لاحترق البيت جميعه لم أكن أقصد أن أحرق البيت جميعه فما كنت أحب أن أعود إلى بيت أمى . عجبت من نفسى وأنا أفكر هذا التفكير . لم يهمنى أن عمتى وجدى وعمى البيه وصالح ووصفية وباقى الخدم جميعا قد يقتلون وكل ما فكرت فيه ألا أذهب إلى بيت أبى . لم أتكلم ولكن عينى وصفية كانتا مثبتتين علىّ لاترمان وأخيرا قالت فى حدة .

– تعال .

– إلى أين .

— تعال .

وفى الغرفة سالتنى وصفية .

— لماذا فعلت هذا .

— أعرفت عمتى أننى أنا الذى فعلت .

— لماذا فعلت هذا .

— لأن عمتى ضر ...

— أكمل .

— كنت ألعب ... لا تخبرى أحدا ...

وتدخل عمتى .

— لو كنت أصغر لقلت كان يلعب ولكن أمثالك يتزوجون الآن وصوتك أصبح خشنا وشاربك باق فأنت لم تعد صغيرا ولو كنت أكبر لقلت .. ماذا أقول .. حقد .. لا يمكن ابن أختى يحقد علىّ .. لا يمكن .. أمين أرجوك .. أرجوك .. قل فقط لماذا فعلت هـذا .

— هل أخبرت أبى .

— هل هذا هو كل ما يهمك .

— لم أكن أتصور أن الجرائد إذا أشعلتها ستفعل كل هذا .

— أهذا هو كل اعتذارك .

— لم أقصد .

— وماذا أقول لزكريا .

— وهل ذكرت بيت عمك البيه وأنت تفعل فعلتك هذه .

— لا تخبرى عمى البيه .

— أمين أنا خجلة منك والألعن من ذلك أننى خجلة من نفسى كأننى أنا التى أشعلت الحريق .

وتخرج عمتى والتفت إلى وصفية .

— أتظنين أننا سنرجع إلى بيتنا .

— ليس هذا بعيدا .

— لا أريد أن أترك هذا البيت .

— فلماذا أردت أن تحرقه .

— لم أفكر أن أحرقه .

— هل صحيح أن صوتك أصبح خشنا وشاربك بان . أرنى شاربك ؟

وتقبلنى وصفية قبلة نهمة وأتخلص منها .

— لا أريد أن أعود إلى البيت .

— لو كانت تنوى أن تعيدنا إلى البيت لقالت الآن لسليم بك ليأخذك معه ؟

— صحيح .

— ولما حاولت أن تظهر كل هذا الغضب عليك .

— آه فعلا .

ويرن جرس التليفون وأسارع إليه لا أدرى لذلك سببا وتحاول وصفية أن تمنعنى لترى شاربى ولكنى أتخلص وأرفع السماعة .



— حميدة ... أنا أمين .

— هل أنت بخير .

— عمتى غاضبة جدا .

— هل حصل شىء للبيت .

— أبدا بعض الغسيل فقط احترق .

— الحمد لله ... مع السلامة ؟

— مع السلامة .

وشعرت بفرحة غامرة من هذا التليفون ورجعت مرحا خفيفا إلى وصفية فوجدتها فى غرفة النوم وإن كانت قد استلقت على السرير واثقة أن عمتى لن تعود إلى غرفتى ثانية .

وفوجئت بى وصفية أقبلها فى فمها قبلة محمومة كقبلتها وانفرجت عيناها عن دهشة بالغة .

— بسم الله الرحمن الرحيم ... خرجت بحال وعدت بحال .

— ألا تقولين إنك تريدين أن ترى شاربى .

— ولم تكن راضيا .

— وتحبين أن ترى صوتى أيضا .

— أرنيه .

ومنذ ذلك اليوم أصبحت علاقتى بحميدة علاقة شاب لا صلة له بالطفولة بفتاة هى التى أخذت بيده إلى الطريق الذى تريد .

— ٤ —

عبد المنعم عزمى زميلى فى الفصل منذ دخلت المدرسة . ومن الطبيعى أن أروى له كل صلاتى العاطفية وغير العاطفية . والغريب أنه يائس يأسا تاما أن يصل الأمر بينى وبين حميدة إلى الزواج . فهو يرى أن فارق السن بيننا ليس كبيرا وأنها ماتلبث أن تخطب فهو لذلك ينصحنى أن أودع هذا الحب إلى غير رجعة . ولم يكن هذا الذى يطلبه ميسورا فأنا لا أتصور بحال أن حياة يمكن أن تقوم لى إذا خلت من حميدة . وكم كنت أضيق بأوامر بيتها ألا تخرج إلا مع أمها فإن خرجت وحدها لتذهب فى زيارات يعين أهلها رقباء عليها فيها . ولكن هذا جميعه لم يكن يمنعنا من اللقاء . فقد كنت أعرف مواعيد زياراتها وكنت ألقاها قبيل الزيارة أو بعدها . وكنا نسير فى الطريق يدها فى يدى ثم لا شىء بعد ذلك . كلمة أحبك أقولها أو تقولها لا تحمل حقيقة المشاعر التى أحسها نحوها والتى أعتقد أنها تحسها نحوى . تروى لى عن أبيها وعن أمها وأروى لها عن عمى وعن أبى وعن وجدى .. كثيرا ما أروى لها عن وجدى فهو لا يرى من الحياة إلا وجها جادا لا ابتسام فيه ولا عبث . وكانت هى تعجب به من أجل ذلك . وكنت أنا اراه سخيفا من أجل ذلك نفسه .

وكثيرا ... كثيرا ما أشرت لها بمخاوف عبد المنعم .. أو

منعم كما تعودت أن أناديه أو أذكره وكانت هى دائما تطمئننى أنها لن تتزوج حتى تنتهى من الكلية .

— حتى ولو كان الزوج أنا .

— حتى ولو كان الزوج أنت .

وكنت أطمئن فالذى لا شك فيه أننى لو سرت فى الدراسة كما تعودت أن أسير فأنا سابقها إلى التخرج ...

هكذا كنت أقول لمنعم ولكنه هو لا يحب الحب على أية حال .. انه معجب كل الاعجاب بالصلة بينى وبين وصفية . أما ذلك الحب ذو اليد فى اليد وبناء المستقبل من الأحلام والرؤى الوردية بلا مناسبة لها وذلك الخفق الذى يتولى القلب ليس إلا أعراضا تصيب الأطفال ولا يعرفها الكبار من أمثالنا . وكان هو فى صلاته الخاصة يرفض هذه العلاقات فى حياته . ولا يقبل إلا نوعا واحدا من العلائق .

أخبرنى منعم فى يوم أنه ذاهب إلى فرح إحدى قريباته وحاول أن يأخذنى معه ولكنى خجلت أن أذهب إلى فرح بغير دعوة . وكم لمت نفسى فى ذلك اليوم لرفضى الذهاب . فمعروف أن الأفراح إنما تعمر بغير المدعوين فماذا كان على لو ذهبت وقضيت ليلة ممتعة ولا أحد يعرف عيشه فى سوق الغزل . كم تتحكم فينا هذه العادات السخيفة التى لا معنى لها ولا معقولية .. المهم لم أذهب .

وفى اليوم التالى من الفرح وجدت منعم مشرق القسمات فرحا

تحيط به نشوة عارمة .

— أما ليلة .

— كيف .

— تاريخية .

— ماذا ؟ وقعت معاهدة عن مصر ! ؟ .

— وقعت عهدا مع هناء البدرى .

— من هناء البدرى ؟

— أشهر راقصة فى كازينو الفجر .

— وقعت معها عهدا .

— غير مكتوب .

— وما شروط العهد

— تنتظرنا الليلة فى الكازينو .

— أنا .. ؟ ما دخلى أنا فى الموضوع .

— كلمتها عنك .

— عنى أنا .

— كلمتها عن جمالك .

— ماذا جعلت منى يامنعم ؟

— ألا يسرك أن أتحدث عن جمالك .

— إن جعلت من جمالى هذا وسيلة لعلاقاتك الخاصة فان هذا لا يسرنى أبدا .

— يا أخى سنذهب معا .

— وأنا كيف أذهب .

— على رجليك .

— وماذا أقول لعمى .

— إنك ستذاكر معى .

— ومتى الموعد ؟

— الليلة .

❊ ❊ ❊

دنيا أخرى ... حياة غير الحياة .. المكان لا ينتسب إلى ما نعرفه من الأمكنة والزمان ملغى لا وجود له . والمال منزوف من جيوب إلى صدور وجيوب .. حياة لا تعرفها الحياة ودنيا لا صلة لها بالدنيا أنا فيها تائه لا أعرف لى سمتا أتسمته ولا هدفا أسعى إليه وإنما أنا خشبة فى تيار يجرى بى لا أدرى من أين تلقفنى وإلى أين يلقى بى منعم . يدعى المعرفة وهو أشد منى جهلا وأكثر ضياعا . نحن على مائدة .

— كم معك .

— خمسة جنيهات .

— أنا معى جنيهان .

— ان مامعنا لا يكفى ثمنا لكوب ماء .

— أننا اصدقاء هناء .

— هناء لم ترنا بعد .

– سوف نلتقى بها .

– وإلى أن نلتقى ماذا نفعل .

– ننتظر .

– وهل ينتظرون علينا .

– تظاهر بالعظمة .

– إن الناس تنظر إلينا فى تعجب ولن يجدينا التظاهر بالعظمة .

– وما نظر الناس إلينا ؟ .

– ألا ترى أننا أصغر من المكان .

– فشر .

– وحياة والدك لا تكن مغرورا .. كلانا هنا ضائع .

– تكلم عن نفسك .

– وعنك قبلى .

– يا جدع عيب أنا منعم .

– طظ .

– سترى .

– هل دخلت مكانا مثل هذا قبل الليلة ؟ .

– وهذه هى الجدعنة أن تكون جديدا على المكان وتبدو وكأنك من رواده الدائمين .

– ماذا تطلبون .

– نعم .

– الكلام واضح .

– رد يا منعم .

– الآنسة هناء البدرى .

– لم تأت بعد .

– ننتظرها .

– اذن لا تطلبون شيئا .

– عندك بيرة .

– الزجاجة بجنيهين .

– هات زجاجة .

– أتريد شيئا بجانبها .

– سلامتك .

– بجنيه .

– سلامتك ؟ !

– لا ... المزة .

– هات مزة .

– اعقل يا منعم .

– اسكت أنت .. هيا يامتر ماذا تنتظر .

– ألا تريد شيئا آخر .

– ألا يكفى هذا .

– مؤقتا لا بأس .

– اذن فاذهب .

دنيا اخرى .. حياة غريبة على حياتنا .. ومع ذلك فهى الدنيا كل الدنيا والحياة كل الحياة لقوم أصبحوا لا يعرفون عن حياتنا نحن شيئا ولا يريدون أن يعرفوا . نسيت منعم ونسيت السبب الذى أتى بى إلى هنا ورحت أطالع الحاضرين من رجال ونساء . خيل إلى أن هذه الوجوه بيتت فى هذا المكان وأنها إذا خرجت من هنا ضمرت واضمحلت وأتى عليها ما يأتى على نبات اقتلع من أرضه . كذب ما نسمعه أن أولئك النسوة تعيسات أو أنهن يحاولن أن ينسين شيئا . لم يعد فى حياتهن شىء يردن أن ينسينه . انهن متأقلمات مع مكانهن هذا ومع ناس هذا المكان . هكذا فى نظرة مفعمة . اقتربت احداهن من منضدتنا .

– مرحبا بالدم الجديد .

– بعيد عنك عندنا فقر دم .

– فقر دم أم فقر جيب .

– اسم الله عليك فهمتها .

– أحيانا الدم الجديد يعوض فقر الجيب .

– ترضين بنا .

– يا أختى عليه .

– لا نريد أختك .

ونظرت إلى .

– وانت يا قمر جئت من أجلى .



– تصدقين ان قلت نعم .

– يا ابنى نحن هنا نلغى عقلنا ونصدق كل شيء .

– وان كنت جئت من أجلك .

– من أجل هذا الوجه وهذين العينين أترك الدنيا كلها … يا عمرى عليك وعلى عينيك .

– وقفز منعم إلى الحديث .

– ياست عيناه فقيرتان .

– أغنى عينين فى الدنيا .. يصاحبنى هو ولا شأن له بالغنى والفقر .

– يخرب بيتك ستودى بنا فى داهية .. ياست اننا جئنا على موعد مع هناء البدرى واتنترت الفتاة واقفة .

– يانهار أسود لماذا لم تقل هذا من الصبح .

وسارعت أنا اقول .

– ياست أنا لا أعرفها … أنا جئت مع صاحبى .

– ألم تره بعد .

– اطمئن ستصبح صديقها منذ الليلة .

وكأنما غضب منعم .

– ماذا تقصدين … صديقها وحده .

– لا تعتق هناء هذا الجمال ابدا .

– أنا .

– أنا فى انتظارك وأمرى لله ولو أن شكلك يعنى …

– ماله شكلى .

– شتان .

– نغيره .

– لا تغيره شيئا .. لعل دمك يكون خفيفا .

– شربات وحياتك .

– أنا فى انتظارك .

– خذينى من الآن .

– حتى تأتى هناء … أنت لا تعرف .

– انها صديقتى .

– متى عرفتها ؟

– من زمان .

– قل أن تعرف هناء أحد من زمان .

– من زمان وشرفك .

– كتر خيرك … أى زمان ؟الذى يبحث يجدك لم تدخل المحل إلا الليلة .

– كيف .

– أنا لم أرك قبل الليلة ولو كنت رأيتك ما أخطأتك .

– شكلى حلو … أليس كذلك .

– لا شعرت .. دم جديد .. ونحن نحب الدم الجديد عن اذنكم

حتى لا ترانى هناء معكما .

وهمت بالانصراف فأمسكت بيدها .

– انتظرى … اسمك .

– ماذا تفعل به .

– نتعارف .

– لا تقل لهناء انك عرفتنى .

– لا تخاف .

– وفاء وكمال .

– ونعم بالوفاء والكمال .

– ونعم بك أنت ياقمر .. عن إذنك .

وأمسكت بذقنى وهزت وجهى هزا رقيقا وانسحبت عنا ونظر إلىّ منعم .

– صداقتك وش خير .

– أترى ذلك .

– ممكن أن نأكل الشهد من ورائك .

– وماذا أنت فاعل إذا أحبتنى هناء .

– أنا أعرفها قبلك .

– وماذا تريد .

– ولا يهمك حبها .

– اسمع أنا أحب حميدة .

– انس حميدة هذه هنا تماما .

– أريد أن أطمئنك … أنا لن أحب أحدا .

– أنك ستصادق النساء هنا … مسألة حبك لهن أو عدم حبك لا يهمنى أنا فى شيء ، ولكن المهم لا تستول على الجميع وتتركنى ضائعا بلا شريك ولا أنيس .

– لا تخف .

– وانس حميدة .

– سأنساها هنا على الأقل .

جاء القاهى .

– تفضلا .

– الست هناء جاءت ؟

– وتريد كما .

ذهبنا إلى حجرة صغيرة لم ألتفت إلى شيء منها كنت منصرفا بكل تشوق إلى هناء التى ساقنى إليها حديث منعم الطويل .

إنها حقا جميلة ولكن خفة الدم فى وجهها أهم من الجمال . سمراء ذات شعر أسود صقيل ناعم وعينين ناعستين فى ذكاء واشعاع يمتد إليك فيطوقك فتستسلم له فى خدر واستمتاع ، ولها قوام لا تملك إلا أن تتمنى احتضانه فهى طويلة هيفاء رقيقة فى فتنة طاغية . صارخة الدعوة كأنها صوت مرتفع يدعوك إلى المتعة . كنت أنقل عينى على مواقعها ثم انتبهت إليها فاذا هى مثبته النظرة

فى وجهى . وجدتها فاغرة الفاه داهشة العينين .

وسمعت صوتا من بعيد .

— امين سليم — صاحبى .

— يا بختك .

— اتفضلى .

— أنا تفضلت فعلا .. تعال يا أمين .

ودون أن أدرى ما يراد بى وجدت نفسى فى أحضان هناء ووجدت نفسى غارقا فى قبلة لم أعرف لها مثيلا على شفتى وصفية .

التمرين هو كل شىء فى الحياة .

* * *

— ٥ —

لم تستطع الحياة الجديدة أن تنأى بى عن النجاح ولا عن حميدة فقد كنت أعتبر صلتى بهناء نوعا من المتعة. أما صلتى بحميدة فنوع من الروحانية . الوحيدة التى تأثرت صلتى بها هى وصفية فقد أحسست أننى عازف عنها أو شبه عازف .

وكانت عمتى تصدق دائما أننى أذاكر مع منعم وكانت نتائجى تؤكد لها صدق المذاكرة. فالموهبة التى أتمتع بها من فهم الدروس وهى تلقى على فى الفصل موهبة أكاد أتفرد بها بين زملائى جميعا .

وهكذا وصلت إلى الجامعة فى يسر وكان لى مجموع يمكننى أن أختار فاخترت كلية التجارة واختار وجدى كلية الزراعة .

بعد أن حصل وجدى على الثانوية العامة أحضر له أبوه سيارة يذهب بها إلى الجامعة وأحسست أن عمتى واقعة فى حرج كبير بالنسبة إلى . فهى لا تستطيع أن تهدى لى سيارة ولماذا لا تستطيع . إن عندها مالا يكفى أن تشترى لى سيارة بل وعشر سيارات إذا شاءت ولكن أيهون عليها مبلغ ضخم كهذا . الأغنياء أشد حرصا على أموالهم من الفقراء أمثالى لماذا أنا فقير . ان أبى أخوها . ولكنه لا يملك إلا بقايا هزيلة من أرض ومرتبه . أما هى فترفل فى غنى فاحش .

عجيب أن الفلوس دائما تعرف طريقها إلى الفلوس .

ان عمتى لم تبع من أرض أبيها شيئا فى حين باع أبى أرضه جميعا إلا خمسة أفدنة أغلب الأمر أنه أبقاها للذكرى وليكون له ببيت القرية صلة ... أى صلة .

وتزوج أبى من أمى وهى فقيرة مثله ، وحين يجتمع الفقران تصبح الحياة كآبة وضيقا وحرجا وأنا لا أنسى سعادة أبى. اننى اربى فى بيت عمتى . هذه السعادة التى أتاحت لى أن أنال مزيدا من المال منه الأمر الذى جعل يدى مبلولة دائما فعمتى تعطينى على غير علم من أبى . وأبى يعطينى على غير علم من عمتى وأفوز أنا بنفحات الاثنين . وأنا أقدر طبعا سعادة أبى وهو يعطينى . وما عطاؤه هذا إذا قورن بما كان عليه أن يبذله فى الانفاق على . ان عمتى تقوم

بكل شأنى من ملابس ومصروفات وطعام . وأنا على ثقة أنها لا تأخذ من أبى مليما واحدا .

وأنا لا أشعر بأى غضاضة فى هذا . فأنا ما دمت تلميذا لابد أن ينفق على أحد من الناس . أن يكون هذا الأحد عمتى أو أبى . هذا أمر تسويانه بينهما دون أى تدخل منى ولا غضاضة .

أحيانا أشعر بشىء من الخجل أمام وجدى ولكنه خجل لا يلح على وسرعان ما يذوب فى تيار الحياة الصاخبة التى أعيشها .

ومنذ عرفت هناء أصبحت حالتى المالية ثراء فاحشا ففى يوم زرتها فى البيت فاذا هى تلقانى فى ابتسامة من يخفى شيئا مفرحا .

— اذهب إلى حجرة النوم .

— ألا أشرب شيئا أولا

— بل تذهب أولا .

— وحدى .

— ستجد لفافة ... فضها وقل رأيك .

وذهبت فوجدت بلوفر من الصوف الانجليزى الفاخر ومعه قميصان من أحدث طراز. شكرتها ... وأطلت فى الشكر .. حتى إذا هدأ بنا الشكر قليلا .

— هناء .

— هيه .

— أنت تعرفين عنى كل شىء .

— ماذا تقصد .

— اننى أعيش مع عمتى ولست مع أبى .

— طبعا .

— ماذا أقول لعمتى عن هذه الهدايا .

— آه صحيح .. لم أفكر فى هذا .

— انها تعرف كل شىء ألبسه . فأنا لست ابنها والانسان لا ينسى الأشياء التى يأتى بها لغير ابنه .

— فعلا .

— فى هذه المرة سأقول لها اننى اشتريت هذه الأشياء من فلوس أخذتها من أبى .

— ولكن بعد ذلك .

— اسمع .. أنا لا أستطيع أن أحبك ولا أقدم لك هدايا وتتصرف أنت مع عمتك كيف تشاء .

— ولماذا لا تجعلينى أنا أشترى هذه الهدايا .

— تقصد ...

— اقصد كلما أردت أن تشترى هدية قولى لى عنها وأنا أقوم بشرائها .

— وماذا تقول لعمتك .

— الفلوس يمكن أن تختفى . أما الملابس .

— آه فهمت .. .. ولد .. هل عرفت أحداً قبلى .

— أنا .. لقد تسلمتني وأنا طفل أحبو .
— من أين تعلمت كل هذا .
— أنت تجهلين قدرك كأستاذة .

أصبحت منذ ذلك اليوم فى بحبوحة من المال ولكنها على كل حال بحبوحة لاتتيح لى أن أشترى سيارة وإنما تسمح لى أن أنفق على السيارة إذا جاءت .

حاولت عمتى محاولة فاشلة أن تخفف وقع سيارة وجدى على .. ستكون سيارتك أنت وهو ... وجدى أخوك وسيارة واحدة تكفيكما .. ولا شك أن عدم الاقتناع كان واضحا على وجهى .

الشعور بالفقر مرير . والشعور بالفوارق أشد مرارة . لو لم تأت سيارة وجدى ما أصبحت عندى مشكلة . ولكن هذا شعور عجيب . لماذا وضحت المشكلة عندما أصبح لوجدى سيارة . انني على الحالين سواء اشترى لوجدى سيارة أو لم يشتر له ليس عندى سيارة . فلماذا هذا الحزن المرير والألم والسخط بل والثورة . لماذا هذا كله جميعه يمور فى نفسى لأننى لا أملك سيارة وإنما فقط لأن وجدى أصبح عنده سيارة ... أليس هناك طلبة آخرون عندهم سيارة . فلماذا تحرقنى سيارة وجدى بالذات . انهمرت على نفسى الآلام . لماذا وجدى غنى وأنا فقير ، ولماذا يربى فى بيت أبيه ولا أعيش فى بيت أبى . ولماذا لا يكون الناس جميعا أغنياء أو لماذا لا يكون الناس جميعا فقراء . ولماذا ، لا يستطيع الآباء أن يلبوا

مطالب أبنائهم ولماذا جاءوا بهم إذا كانوا عاجزين عن رغباتهم. كيف تلد لحظة المتعة كل هذا الشقاء للبشرية . إذا كنت وحيد أبى ولم يستطع أن يقوم بشأنى فكيف به ولو كان جاء معى باخوة وأخوات . أكان سيرمى كل واحد منا عند عمه أو خاله . إلى الجحيم هؤلاء الإخوة جميعا . بل إلى الجحيم الناس جميعا كلهم أجمعون . أب لا يقدم لى إلا مالا هزيلا وعمة تأتى لابنها بسيارة ولا تأتى لى بمثلها وقوم كلهم أغنياء أو غير مبالين .. كل له شأن يغنيه وأنا لولا هناء لكنت شيئا ضائعا لاطعم له ولا لون ولا رائحة .

كنت فى غرفتى لا أجد شيئا أصنعه . فقد كنت أقصد فى هذه الأيام التى تلت مجيء السيارة أن أتجنب عمتى وأتجنب الخروج مع وجدى فى سيارته . وكنت فى هذاالوقت من اليوم الذى لا أستطيع أن أصنع فيه شيئا . فميعاد الكباريه لم يأت بعد وهناء نائمة ومنعم أيضا نائم وأنا استيقظت منذ قليل أواجه الوحدة .. نوعا من الوحدة العجيبة التى قد لا يعرفها أحد . فان لى أصدقائى ولى من أحبهم ومن يحبوننى ، ولكننى كنت كثيرا ما أشعربالوحدة فى داخلى..لا أدرى من أين كان يهاجمنى هذا الشعور بالوحدة كلما خلوت إلى نفسى ... أتراه ينطلق إلى من موت أمى أم من إقامتى فى غير بيت أبى ... ربما . فقد حرمت أمى وأنا بعد صغير .. وعشت فى بيت عمتى منذ منابت صباى وشبابى . ولكن من الطبيعى أن أتعود الأمرين ... لا أدرى .. كل ما أدريه أننى كثيرا ما كنت أشعر بالوحدة وكنت



أواجه هذا الشعور بحديث مع حميدة ، فهى الوحيدة بين كل من أعرف التى كنت ألقى بوحدتى على ثباتها فأشعر بأننى شيء ثمين يمكن أن يحبه مخلوق نورانى كريم . لم تستطع هناء كما لم تستطع وصفية من قبل أن تلحق أى أثر بالحب الصارخ ، العملاق الذى كان ينمو فى كيانى لحميدة . حتى لم يكن المستقبل يعنى شيئا بالنسبة إلى إذا هو خلا من حميدة . وكان حبى لها يتمثل فى حديث بيننا يجرى عبر التليفون أحيانا أو يجرى فى لقاء سريع تصطنع هى أسبابه فى أحيان أخرى .

وكم خلا بنا المكان ولكنى لم أجرؤ على تقبيلها بل اننى حتى لم أفكر . والشعور العجيب الذى كان يراودنى دائما هو خوفى أن يطغى بى الحب يوما فأجد نفسى أقبلها وتسكت هى على قبلتى دون مقاومة أو زجر وتعنيف . لم أكن اتصور أنها ترضى أن يقبلها أحد حتى ولو كان أنا ... لم تكن حميدة عندى حبا ترويه القبلات وإنما كان حبا أشبه بالصلاة أتخشع فى محرابه مثل عابد متصوف ينسى فى هذا المحراب من الحياة كل الحياة ولا يتمثل له إلا حبه وصلاته .

— آلو .
— أين أنت .
— بل أين انت ... أنا أطلب يوميا ولا تردين .
— كان أبى بجانب التليفون دائما .
— خير .

ـ حركة ترقيات ينتظر أخبارها .

ـ أريد أن أراك .

ـ آه .. لا أدرى كيف ... اسمع .

ـ هيه .

ـ هل تستطيع أن تنزل حالا .

ـ فورا .

ـ نلتقى على أول شارعنا .

ـ اقفلى السكة .

ـ اقفل أنت .

ـ لن أضع سماعة التليفون قبلك أبدا .

ـ حسنا سأفعل أنا وتنزل فورا .

* * *

ـ كان لابد أن أراك .

ـ خيرا .

ـ أحس بالضياع وأنا بعيد عنك .

ـ أتذاكر يا أمين .

ـ المؤكد أننى سأنجح وأنت ؟

ـ أنا أيضا سأنجح ولكن ..

ـ ماذا ؟

ـ لاأريد أن تشغل نفسك .

ـ ماذا ؟

ـ أبى .

ـ خاطب آخر .

ـ ثرى .

ـ وماذا فعلت ؟

ـ رفضت .

ـ وبعـــد .

ـ أبى مصر .

ـ وبعـــد .

ـ تصرفت أنا .

ـ كيف ؟

ـ تصرفت والسلام .

ـ كيف ؟

ـ أقول لك ولا تضحك .

ـ لا ... لن أضحك .

ـ صفعته .

ـ ماذا .

ـ صفعته بالقلم على وجهه .

ـ العريس ؟ :

ـ العريس .

ـ كيف ؟

ـ جاء يوما مع أمه وفتحت الباب وبالمصادفة لم يكن أحد واقفا بجانبى فوجدت نفسى أرفع يدى فى الهواء وأهوى بها على وجهه .

ـ ياخبر أسود .

ـ دقت أمه صدرها .. ياهوى إيه ده يابنى اللى بنيبيه ونظر هو إلى مليا وكأنما فهم كل شىء ... مسكين والله صعب على يا أمين ..... صحيح صعب على أرادت أمه أن تدخل فأمسك بيدها وعاد بها مهبط السلم .. هو صامت وأمه لا تكف عن الكلام .. بسم الله الرحمن الرحيم ...... ده البنت مجنونة .. الحمد لله اللى عرفنا من بدرى .. ياعينى يا ابنى .. لا حول ولا قوة إلا بالله ..

أمسكت فجأة بحميدة وهويت عليها أريد أن أقبلها فى الطريق فاذا هى فجأة تتجمد كأنها تمثال من أعصاب ووجدت نفسى تعود إلى قبل أن أكمل المحاولة ووجدت موجة من الطمأنينة والانشراح تملأ صدرى ثم رحت أضحك كمجنون من كل شىء : من القلم الذى أكله خطيبها ومن تعليق أمه ومن هجوى الأرعن ومن تجمد حميدة . ونظرت إلى حميدة بضع لحظات ثم انفجرت هى الأخرى ضاحكة وكأنما كانت ترى كل ما أضحك من أجله متمثلا فى ضحكتى المجنونة الطاغية .

* * *

عدت منتشيا إلى البيت فلا أدرى لماذا لم أجد فى نفسى خفة إلى هناء فى ليلتى تلك . لم أمل على أحد من أهل البيت ، فقد كرهت أن يرانى أحد منهم فرحا فانقل إليه فرحتى وأنا لا أريد لأحد منهم أن يفرح .

قصدت إلى حجرتى فاذا وصفية نائمة فى سريرى ملقية نفسها لبسة المتفضل فهى عارية كاسية . لم أدهش ولكننى كنت أريد هذه الليلة أن تظل ملكا لحميدة .

ـ عندى لك أخبار مدهشة .

ـ صحيح ... ماذا .

ـ الدفع مقدم .

ـ تحت أمرك .

ـ قبلة طويلة .

ـ أهى كل الثمن .

ـ الباقى بعد أن تسمع الأخبار .

ودفعت المقدم .

ـ قولى .

ـ غدا ستكون عندك سيارة .

ـ ماذا قلت .

ـ ما سمعت .

ـ وتريدين قبلة واحدة .

ـ مجرد مقدم .

- كيف عرفت .

- بوسائلى الخاصة .

- احكى لى .

- فوجئت بأبيك قادما إلى هنا . سأل عليك . قلت خرج . وسأل عن الست فذهبت به إلى حجرة البوفيه وجلسا وكان الباب مفتوحا فسمعت .

- ماذا سمعت قولى .

- يا سليم لابد أن نشترى سيارة لأمين .

- سيارة كيف ... أنت تعرفين .

- بع فدانين وسأكمل أنا الباقى .

- إلى هذه الدرجة .

- وجدى الآن عنده سيارة ولا أحب أن يشعر أمين .

لم أعد أسمع ... بنت الكلب ... أكان لابد أن تجعله يبيع فدانين .. كانت تستطيع أن تدفع الثمن كله ... ماذا يصيب الثراء الفاحش أن نقص منه ألفان أو ثلاثة آلاف .

غناهم يزيد حرصا على الغنى . كم فدانين عند أبى حتى يبيع . وماذا يبقى لى إذا عرف طريق البيع .

* * *

- ٦ -

ذهبت فى باكر الصباح إلى الكلية. فاليوم هو أهم يوم فى حياة التلميذ . نتيجة البكالوريوس . نجحت . لم أكن أتوقع مطلقا شيئا غير هذا فقد كنت حريصا دائما على حضور المحاضرات وما كنت أسمعه ينطبع فى رأسى لا يخرج منه حتى أضعه على ورق الإجابة. التقدير جيد . لا بأس .

كانت عمتى أول من لقينى فى البيت . رأيت الفرح الصادق على وجهها . انها فرحة لأنها تعتقد أنها هى التى نجحت . تعتقد أنها هى التى صنعتنى . تعتبرنى ملكية خاصة لها . لم يكن هناك وقت أضيعه أكثر مما أضعت فقد انتظرتنى حميدة أربع سنوات كاملة .

- عمتى أريد أن أخطب .

ابتسمت فى خبث :

- يحق لك ولكن ألا تنتظر حتى تكون نفسك .

- أكونها مع زوجتى .

- حميدة .

ليسوا أغنياء هؤلاء الأغنياء . أم ترانا نحن الأغنياء نحن المحبين .

ولم أجد شيئا أجيب به ذكاءها إلا ابتسامة أفسحت لها مكانا على شفتى .

- أبوها يحب المال .

- أعرف ولكن لعل الحب يشفع لنا .

- الحب بينك وبينها هى وليس بينك وبين أبيها .

- قد تضطره هى إلى القبول .

- وترضى أن تتزوجها رغم معارضة أبيها .

- انى سأتزوجها هى .

- على كل حال سأدبر الأمر .

- واعلم أنك قادرة على تدبيره .

* * *

- حاولت يا أمين بكل جهدى .

- ولم يقبل أبوها .

- طبعا تعرف السبب .

- انى فقير .

- قلت إنى سأعطيك كل مايلزمك .

- فلماذا اعترض .

- قال إنه يريد شخصا يعتمد على نفسه .

ابن الكلب أستطيع أن أتزوجها رغم أنفه .. بل أستطيع أن أتزوجها من غير زواج وأجعل منه أضحوكة بين الموظفين ... بل أستطيع أن أشيع عنها الشائعات فلا ترى الزواج بعينيها ولعلى أفعل .. ولعلى أفعل .

وفجأة أحسست كأن ما أفكر فيه ينتقل إلى عينى عمتى اللتين تنفذان إلى داخلى فى نظرة صفرية مخيفة .

- لا يا أمين .

- لا ماذا .

- أرى فى عينيك وميضا فظيعا .. أتراه نفس الوميض الذى انبعث منهما يوم أحرقت السطح .

- عمتى .

- الانتقام فى هذه المرة سيصيبك كما سيصيب حميدة وأهل حميدة .

- يصيبنى .

- ألا تقول انك تحبها .

- الحب لا يكون من جانب واحد .

- وماذا تريدها أن تفعل .

- تقنع أباها .. انتهى زمان عبودية الآباء لأبنائهم .

- وتعيش عمرها محرومة من عطف الأب والأم .

- سيصفحان .

- فان لم ؟

- سيصفحان .

- ألا تستطيع أن تفكر بعقلهما لحظة ... لحظة .

- لا أحد يموت من الجوع .

- أيرمى أب ابنته من أجل مثل هذه القاعدة .

– فماذا تريدنى أن أفعل .

– انتظر وكون نفسك .

– وهل ستنتظر هى .

– أنت لا تملك غير هذا .

– بل أملك الكثير .

– لا تقطع كل الحبال .

– فلتنقطع .

– ربما يأتى يوم .. ربما ... تستطيع فيه أن تتزوجها .

– وكيف ستنتظرنى ؟

– أنا لا أدرى الغيب ولكن لا تعترض القدر إذا حاول يوما أن يعيدها إليك .

– وأسكت .

– بل ساعد الأيام .

– ماذا أعمل ؟ ؟

– حطم هذا السبب الذى منعك عنها .

– ان أباها لا يعرف كم أشقانى وكم أشقى ابنته .

– أما أنت فلا تهمه فى شىء وأما ابنته فلعله يظن أنه يعد لها السعادة .

– كانت حميدة أغلى أمنية فى حياتى .

– لا ترغم الأيام يا أمين .

– لا عليك يا عمى .

وخرجت وكان طبيعيا أن أذهب إلى هناء على غير موعد . نائمة هى طبعا . لم أوقظها وانتظرت بيتها . لأول مرة أحس أننى يجب أن أكون مع هناء . انتظرت وطال الانتظار . طلبت منزل حميدة لم ترد .. شىء طبيعى .. ماذا يمكن أن أقول لها . لابد أن هناك أشياء تقال .. لقد اتفقنا أن تنتظرنى حتى أنتهى من الدراسة هل يمكن أن أطلب إليها أن تنتظرنى حتى أصبح غنيا . لكن لابد أن هناك شيئا يقال . على كل حال انه دورها هى أن تقول .

استيقظت هناء أخيراً وقضينا اليوم معاً . وانصرفت فى أوائل الليل عائدا الى البيت استقبلنى صالح السائق وأخبرنى أن البك يريدنى .

– هيه ياعم أمين علام نويت ؟

وظننت أنه يكلمنى فى شأن الخطبة ودهشت فهذا موضوع لا يجوز له أن يخوض فيه .

– فيم ياعمى ؟

– فى حياتك .

– لم أفكر بعد

– ولكن أنا فكرت لك .

– ماذا ؟

– عندى لك عملان تختار بينهما .

انهما يصران أن أظل ملكية خاصة لهما . ولكن ما الناس مادمت أستطيع التخلص وقتما أشاء .

– ألف شكر

– عندى لك عمل فى شركة كبيرة بمرتب أربعين جنيها فى الشهر .

ماذا يظننى هذا الكلب . ما أربعون جنيها ... انها لا تكفى بنزينا لسيارتى ولكن المرتب فى نظره لابأس به طبعا بالنسبة لتلميذ فقير لم يكد يتخرج . وتذكرت هناء ثم لم أجب .

– وعندى لك عمل مع محاسب كبير إذا عملت معه تجد تصبح أرباحك لا حد لها

– من ؟

– مكتب سامى أحمد .

– انه مكتب شهير .

– ما رأيك ؟

– أعمل معه .

– ألا تسأل أباك ؟

أبى . وما شأن أبى بى . ومتى كان لى به شأن إنما قصاراه أن نجحت وأننى أعمل وسيظل يعطينى العشرين ملطوشا التى لا تزيد ثم لا شأن له بى بعد ذلك ويطمئن نفسه أنه شارك بفدادين فى شراء سيارتى وكأنه اشترى لى عمارة . أبى وما شأن أبى .

– لا . . . لاداعى للسؤال

– رأيك

* * *

مكتب سامى أحمد يقع فى شارع شريف قريبا من التقائه بشارع ثروت . وسامى أحمد رجل يقارب الخمسين من عمره يعرف كيف يكون رقيقا مهذبا ويعرف أيضا كيف يكون عنيفا اذا اقتضى أمر أن يكون عنيفا .

ولم يكن لتلاقى الأول به محتاجا أن يكون رقيقا ولا أن يكون عنيفاً . فهو لاشك قدر أننى سأعمل فى مكتبه فالافراط فى الرقة لاداعى له .

– هذا أول عمل لك يا أستاذ أمين .

– نعـم .

– أنا لا أدعى شيئا لا يمثل الحقيقة ولكن لابد أن تعلم أن أحسن المحاسبين فى البلد تخرجوا فى هذا المكتب . ولو عملت بنصائحى فلن يمر وقت كبير حتى تصبح قادرا على فتح مكتب محترم .

– العمل مع سيادتك فى ذاته شرف .

ان الذين تربوا فى بيوت غير بيوت آبائهم يتقنون أن يصنعوا كلاما مزخرفا يلقى بالزهو فى نفس الآخرين وقد كدت أرى صدره وهو ينشرح لهذا الحديث منى ووثبت ابتسامة إلى شفتيه وهبت عليه نسائم وقد كانت غائبة عنه .

– اعتبرنى كوالدك .

أعوذ بالله ولو علم ماذا يعنى أبى عندى لما قال ما يقول . ولكن على كل حال ليس من المرغوب فيه أن يعرف كل انسان وخاصة سامى أحمد ما أكنه لأبى من مشاعر .

– فى اللحظة التى رأيت فيها سعادتك ثبت فى نفسى أنك والد .

– يعمل معى فى المكتب شاب .

ثم اجتزأ ضحكة .

– ولو أنه عجوز بالنسبة لك هو الأستاذ فتحى عبد التواب وآنسة متخرجة منذ سنين هى الآنسة نيفين السيد سأعرفك بها الآن .

– أهما اثنان فقط ؟

– يابنى المكتب لا يحتمل أكثر من اثنين أو ثلاثة فقد أصبحت أرفض الأعمال الصغيرة لأترك فرصة لأولادى الذين تخرجوا عندى وأصبح المكتب مقصورا على الزبائن الكبار وهؤلاء يكفيهم اثنان أو ثلاثة على الأكثر .

كان قد ضرب الجرس وهو يتكلم وحين جاء الفراش كان قد أنهى حديثه .

التفت إلى الفراش ثم التفت إلى :

– عم مدبولى الفراش . زاملنى منذ فتحت هذا المكتب . هو عندى منذ عشرين سنة . الأستاذ أمين ياعم مدبولى . خل بالك منه .

وقال : عم مدبولى .

– ليس لنا بركة إلا هو .

يمثل هذه التمثيليات القصيرة يضحك هؤلاء الأباطرة على هؤلاء البسطاء . عشرون عاما امتص فيها دماء الرجل الكهل ويباهى بهذا . أما كان الأولى بهـذا الرجل أن يستريح وينال معاشا من هذا المحاسب الجشع ؟

قبل أن يدخل الزميلان وجدت سامى أحمد يقول فجأه وبلا مقدمات .

– إن جمالك شئ لا يمكن السكوت عليه .

وخجلت بعض الشئ وأكمل هو حديثه غير عابئ بخجلى .

– لا تستعمله مع نيفين .

– ياأفندم العفو .

– ولا تشجعها ان حاولت هى الانتفاع بهذا الجمال .

– ياأفندم العفو .

– أنا لا أراها جميلة ولكن مقاييس الشباب فى الجمال تختلف تماما عن نظرتنا نحن أبناء الخمسين .

– أنا ياسعادة البك . .

وقبل أن أكمل دخل الى الحجرة الزميلان . أما نيفين فهى فتاة يمكن أن يراها بعضهم جميلة بل يمكن أن أراها أنا أيضا جميلة ولكن الواقع أن أفكارى عن الجمال أصبحت لا تتصل فى كثير أو قليل بجمال الوجه وحسن القوام .

أما فتحى فشاب فى الثلاثين من عمره يبدو عليه الجد .

تعارف ثلاثتنا ولم أستطع أن أتغاضى عن نظرة فيها نوع من الانبهار شعت مـن عينى نيفين .

* * *

– ٧ –

كنت فى البيت – بيت عمتى – حين دق جرس التليفون وبحركة لا واعية أمسكت السماعة .

– هل بجانبك أحد ؟

– مـن ؟

– ألا تعرفنى ؟

– حميدة .

– أريد أن أراك .

– حاولت المستحيل لأراك . . أين أنت ؟

– فى العزبة .

– أيـن ؟

– فى القناطر .

– أجيء فورا .

– تعال .

– صف لى الطريق .

– علام انتويت ؟

– ماذا تنوى أنت أن تفعل ؟

– ما شئت .

– أنا مستعدة أن أفعل ما تشاء .

– نتزوج ؟

– نتزوج .

وقبل أن أعيد العرض فكرت . . . بماذا سنعيش . ان عمتى لاشك ستقطع عنى كل معونة ولا أستطيع أن أفرض إقامتى على أبى . إذا كان لم يستطع أن يبقينى وحدى فى بيته فكيف يبقينى وأنا مع زوجتى . وكأنما قرأت حميدة كل ما يدور فى رأسى

– تفكر .

– أليس طبيعيا أن أفكر ؟

– هل مع الحب تفكير ؟

– مع الزواج لابد من التفكير ؟

– أنا لا أريد أن أضيق عليك الطرق ولكن لابد أن نقرر فورا .

– هل هناك جديد ؟

– جاءنى خاطب .

– متى ؟

– لا يهم . المهم أن أبى وافق عليه .

– وأنت ؟

– لو كنت وافقت ما ألقوا بى إلى العزبة .

– ألا تخشين أن يخبر أحد أباك إننى جئت إلى هنا .

– لم يعد يهمنى .

– كيف ؟

– واحدة من اثنتين : اما أن نتفق الآن على الزواج فورا وحينئذ سيعرف كل شئ ، واما ألا نتفق وحينئذ سيجعله قبولى الزواج من الخطيب الجديد يغفر لى كل شيء .

– هـا تفكرين فى كل شيء .

– ماذا قررت ؟

– هل إذا صممت على الزواج بك تحسين أنى أحبك ؟

– نـعم .

– أتقدرين ما سنلاقيه من عقبات ؟ .

– المال .

– أليس شيئا مهما .

– لقد نلت البكالوريوس وستعمل .

– لقد عملت فعلا .

– أين ؟

– لا يهم . وانما المهم أننا إذا تزوجنا سأفقد وظيفتى الجديدة .

– كيف ؟.

– عمى زكريا هو الذى عينى .

– عمك زكريا يفكر فى طلب رفتك .

– انى ملكية خاصة له ولزوجته .

– أنا معى الليسانس أيضا وسأعمل .

– فاذا عمل كلانا أتظنين أننا سنستطيع العيش ؟ .

– أنت تفكر .

– لى ولك .

– نتزوج ثم تفكر .

– إذا تزوجنا فلا داعى للتفكير .

– مازلت تفكر .

– وأين سنقيم ؟ .

وصمتت فجأة وأطلت من عينيها دمعتان تحدرتا على وجهها ولم أملك نفسى .

– حميدة سنتزوج .

– اننا سجناء ندعى الحرية .

– سنتزوج .

– الآن .. لا يمكن .. ربما كان ذلك ميسورا منذ دقائق قبل أن تفكر وتجعلنى أفكر .

وافترسنى فجأة صمت صاحب ثائر يتلوى فى كيانى فلا أجد له فسحة ليدمر العالم حولى ولا أطيق أن أكتمه فيدمرنى ، ورحت أدق يد الكرسى دقا مجنونا لا معنى له كأنما بيدى قيد وأريد أن أحطمه .

وفى هدوء المقبل على المقصلة قالت حميدة :

– سأتزوج هذا الخاطب .

– أرأيته .

– أكرهه .

لعلك فقط لاتريدينه .



– أكرهه .

– أقبيح هو ؟ .

– لقد رسمه الله فى الصورة التى أكرهها .. لو لم أكن رأيته وطلب منى أحد أن أرسم صورة لرجل أكرهه لكانت صورته .

– لعله طيب .

– أطيب هذا الذى يتزوج فتاة لأن أباها وكيل وزراة دون ان كانت ترضى به أم لا .

– لعله يرجو أن تحبيه بعد ذلك .

– فإن لم .

– يحاول أن يجرب .

– ويستلب حياتى لتكون أداة تجربة .

– لعلنا نستطيع أن نلتقى بعد الزواج .

ونظرت إلى فى لوم شديد وأسى .

– أترضى لى هذا ؟ !

– انى أحبك .

– أهكذا تحبنى .. أهذا هو نوع الحب الذى جمع بيننا ؟ .

– فكيف أعرف أخبارك .

– ألهذا فكرت أن تلقانى .

خذلتنى نفسى وهى التى تعودت الكذب . لم أستطع أمام طهرها أن أجيب بنعم حاسمة تزيل ما أثرته فى نفسها من لوم .. تلعثمت وتردد لسانى وأنا أقول :

— نعم .
— لا ... لم يكن هذا ما أردت ... سأغفر لك ما فكرت فيه لأنك فى موقف لا يسمح لى بلومك .
— أريد أن أعرف أخبارك .
— اكتب لى رقم تليفونك فى العمل .
وحين أعطيتها الرقم قالت فى حسم :
— سيكون التليفون هو الصلة الوحيدة بينك وبينى .
— ولا أراك .
— مادمت زوجة لغيرك فلن ترانى .
— حتى لحظات .. رؤية بريئة .
— ان مجرد لقائى بك لا براءة فيه .
— اذن فالتليفون فقط .
— لا بد لى أن أعرف أخبارك ..
— وأنا لا . . . أن أعرف أخبارك .
— أنا أعرف أنك ستنجح .
— كيف عرفت .
— أرى فى عينيك اصرارا على النجاح .
— سأنجح .
— ولكن احذر طريق النجاح .
— سأنجح من أى طريق .
— فقط لاتبع نفسك من أجل النجاح :

— لابد أن يعرف أهلك أننى قادر على الغنى .
— الطريق إلى الغنى أهم من الغنى نفسه .
— كلام أغنياء لا أثق فيه ..
— ألا يهمك طريقك إلى المال .
— الآن يهمنى المال فقط .
— أمين .. يخيل إلى أنك دائما يهمك أن تصل ولا يهمك الطريق التى تؤدى بك إلى الوصول .
— ومع ذلك تحبيننى .
— هذا قدرى .. أعرف عيوبك كلها ومع ذلك أحبك .
— سنلتقى .
— بالتليفون .
— بل سنلتقى .
— إياك .
— وبرضائك .
— متى .
— هذا هو الشىء الوحيد الذى لا أعرفه .. لن أقول وداعا .
— أما أنا فأقولها .. وداعا يا أمين .
— إلى اللقاء ياحميدة .. إلى اللقاء .

* * *

— ٨ —

حاصرتنى نيفين فى العمل وكنت أنا راغبا عنها تماما . فقد كانت هناء تكفينى مهمة البحث عن أخريات . وكان أملى فى ذلك الحين أن أتقن أسرار المحاسبة لعلى أستطيع أن أصل إلى الثروة التى أصبحت كل ما أفكر فيه . ولهذا وطدت صلتى بفتحى حتى لايخفى عنى شيئا من أسرار العمل . ولكن محاولة تباعدى عن نيفين لم يزدها إلا اصرارا .

وما البأس ؟ وماذا يحدث إذا توطدت صلتى بها هى أيضا مادامت فى ذلك تصرأن تنتظر حتى أنزل لتركب معى السيارة وتصر فى كل حديث لها أن تربط بينى وبينها وأنا لم أعد غرا . فإذا كنت قد بدأت مغامرتى مع راقصة فلا بد أننى كسبت خبرة عريضة ان نيفين من النوع الواقعى الذى يصل إلى هدفه فى أقرب طريق لم يمر على توصيلى لها أكثر من شهر وإذا هى .
— ماذا ستفعل اليوم .
— أبدا ... لا شىء .
— ولماذا لا نخرج معا .
— إلى أين نذهب .
— لا شأن لك .
— متى نلتقى ؟ :

— فى السادسة .
— أجىء اليك .
— ستجدنى بالباب .

نوع جديد على .. لقد عرفت وصفية وقادت خطواتى الأولى نحو الشباب .. وعرفت حميدة فأشعلت فى القلب وجيبا وكلما حاول الجسم أن يشتعل أطفأته وأعادتنى أمامها ملاكا كل مشاعره قلب واجف ملهوف .. وعرفت هناء فعرفت المرأة فى القمة العليا من أنوثتها ونضجها . نيفين نوع جديد بالنسبة إلى ... سيدة متعلمة لا تعمل بالرقص وواضح أن مسألة القلب عندها ليست هى كل العلاقة التى يمكن أن تقوم بين رجل وامرأة كنت أمام بيتها فى السادسة كما طلبت .
— إلى أين .
— هل معك نقود .
— بالقدر المعقول .
— فأنا أدعوك .
— علام .
— لا شأن لك .. مل يمينا فى الشارع المقبل .. قف عند البقال .
— بقال :
— يا أخى أنت مالك .
— أمرك .

نزلت وعادت بكيس كبير وضعته على المقعد الخلفى وركبت إلى جانبى .

ــ اذهب إلى الدقى .

وما زالت تميل بى يمنه ويسرة حتى وقفنا أمام عمارة أنيقة ونزلنا . وما هى إلا درجات قليلة حتى وقفنا أمام شقة أخرجت مفتاحها ودخلنا وما ان أقفلت الباب حتى صحت :

ــ يانهار أسود من الحبر ... شقة خاصة لك .

ــ فشرت اخرس .

ــ أخرس ؟ ! فما هذه إذن .

ــ شقة أختى .

ــ أختك .

ــ نعم .

ــ وأختك .

ــ فى الكويت .

ــ والمفتاح .

ــ لأنظفها .

ــ ولماذا لا تؤجرها .

ــ تخشى أن ينقل زوجها فى أى وقت وليس فى بيتنا مكان لهما ... ثم هما فى غير حاجة إلى قيمة إيجارها .

ــ معقول .

ــ اجلس .

كان بالكيس زجاجة ويسكى وما يحتاج إليه الويسكى ..واضح أن الآنسة نيفين ذات تجارب واسعة .

شربنا وذهبنا إلى حجرة النوم ..

ان الآنسة نيفين ليست آنسة .

حين جلسنا فى البهو نظرت إلى طويلا .

ــ أنت مندهش .

ــ أنت مازلت صغيرة .

ــ أبى موظف ومرتبه بسيط وبنات اللصوص فى الجامعة يلبسن أفخر الملابس ... لابد أن أكون مثلهن .

ــ والزواج .

وضحكت ضحكة ساخرة .

ــ ماذا جرى يا أستاذ .. هناك ألف طريقة لإعادة الأمور إلى نصابها .

واضح جدا أن معلوماتى قاصرة ... لقد كنت أحسب أن صلتى بهناء تتيح لى أن أكون عالما فى هذا الميدان ...

وما لبثت أن تبينت كم أنا جاهل .

* * *

طلبت من فتحى أن يخرج معى نوصل نيفين ونتناول الغداء معا فوافق .

وعلى الغداء .

ــ فتحى .. قل لى .. ألم تذهب فى حياتك إلى كباريه .

ــ يا أمين يا أخى أنا دائما أحافظ على الفرض وحتى لو فكرت فى الذهاب على سبيل التعرف لما أسعفتنى المادة فقد زوجنى أبى قبل أن تظهر نتيجة البكالوريوس وأصبح عندى ولد وبنت .

ــ ولكن لابد أن ترى .

ــ الانسان لا يستطيع أن يرى كل شىء فى الحياة .

ــ أتذهب معى .

ــ متى .

ــ الليلة .

ــ الليلة الخميس الأول فى الشهر .

ــ وماله .

ــ ليلة أم كلثوم .

ــ تسمعها فى البيت مع الأولاد .

ــ ستدهش لو عرفت أين أسمعها .

ــ أين .

ــ أتأتى أنت معى .

ــ لا بأس .. أنا على موعد أعتذر عنه وأجىء معك .

ــ اتفقنا .

ذهبت إلى بيت هناء فقضيت القيلولة عندها واعتذرت لها عن لقاء المساء وعجبت هى فقد كنا تعودنا أن نسمع أم كلثوم معا

وثالثتنا زجاجة الويسكى أو الكونياك أو ماتيسر ولكنها حين عرفت أننى سأكون مع فتحى الذى تعلم أننى حريص على توطيد صلتى به زال منها العجب .

التقيت بفتحى وفى ظنى أنه سيأخذ بى إلى جمع من المتصوفة يسمعون أم كلثوم فى وقار العلماء وثباتهم ولكن .. كم أخلف فتحى ظنى . اشترى فتحى بسبوسة ، وذهبنا إلى شقة فى العباسية تقع على السطح من عمارتها ووجدنا أمام الشقة مراتب مفروشة ودق فتحى الجرس وظهر على الباب فى مثل سنه مرتديا جلبابا أبيض ناصعا وطاقية .

ــ أهلا وسهلا تفضلا .

ــ أمين سليم زميلى فى المكتب .

ــ أهلا وسهلا .

ــ عبد الحميد جاد الله صديقى ومفتش حسابات بوزارة الداخلية .

ــ أهلا وسهلا .

ودخلنا وقال فتحى .

ــ نحن أول من جاء .

ــ انهم فى الطريق .

ونظرت إلى عبد التواب مليا .. فى الثلاثين من عمره هادىء فى عينيه ذكاء لم يمنعه من الظهور هذه الهضاب التى تكونت حول عينيــه .

– ياترى ماذا ستغنى الست الليلة .

– كل شيء منها جميل .

ومضى بنا الحديث وتقاطر الأصدقاء. منهم من هو زميل متخرج فى كلية التجارة ومنهم غير زميل هم أربعة نفر غير فتحى وعبد التواب اثنان منهما زملاء دراسة لهما وأما الآخران فأحدهما فران والآخر بائع فى محلات القطاع العام .

وقبل أن يبدأ الغناء بدأوا هم عملهم .. وأخرجت الجوزة من داخل البيت ، ومعها لوازمها جميعا . وكان كل ضيف منهم قد جاء بصنف من الطعام فاذا المائدة عامرة ولكن أحدا لا يمد يده إليها ... لقد تحولوا جميعا إلى أنفاس . العجيب أن فتحى لا يشاركهم مطلقا . أما أنا فقد شاركتهم .. ومازلت أذكر أول نفس اجتذبته . نوع من الخدر بعيد كل البعد عن نشوة الخمرومع ذلك ومع تكرار الأنفاس تحولت إلى شيء منقطع عن الزمان والمكان بعيد عن المشاكل وعن الأفراح سابح فى لا نهاية فلا أنا فى أرض ولا أنا فى سماء وإنما أنا هباءة ليست بعيدة عن الأرض ، وليست قريبة من السماء، ومع الناس أنا ولست منهم. أذكر مامر من حياتى وكأنه لم يقع، وافكر فى مستقبلى وكأنه مستقبل الآخرين أتحدث فكأنما أسمع حديثا لإنسان غيرى وأسمع فكأنما أذنى ليست أذنى . بل كأن الشهيق والزفير هنى يقوم به عنى شخص آخر لم ألتق به ولم أعرفه قبل اليوم ولا يعنينى أن أعرفه ولا أريد أن أبحث عن شأنه . وغنت أم كلثوم . فكأنما صوتها الذى كنت أعرفه يأتى



اليوم من مكان سحيق لا يعنينى مصدره وإنما كل ما يعنينى منه هذه النشوة التى أحسها أو التى يحسها ذلك الإنسان الآخر الذى يقوم عنى بالشهيق والزفير .

***

فى الصباح سألت فتحى .

– لماذا لا تشارك ؟ .

– لم تعجبنى المشاركة .

– فلماذا تذهب ؟ .

– تعجبنى القعدة .

– لك حق .

– أتأتى معى كل شهر .

– كل شهر وأشارك فى النفقات .

– هذه الجلسة هى تسليتى الوحيدة وثمن البسبوسة هو كل نفقاتى الخاصة .

– لماذا لا تفتح مكتبا مستقلا .

– ليس بعيدا .. من يدرى ربما فتحنا معا .

– من يدرى ربما .. من يدرى .

***

– ٩ –

كنت فى مكتبى حين حولت إلىّ عاملة التليفون مكالمة .

– من .

– صباح الخير .

– حميدة .

– اليوم سأتزوج .

– أعوذ بالله .

– لابد أن تعرف .

– وافقت .

– ألم نتفق .

– اليوم .

– اليوم .

– هل يمكن أن أراك .

– هل جننت ؟ .

– هل تشكين فى ذلك .

– أتسافرين ؟ .

– نعم .

– إلى الخارج ؟ .

– إلى الاسكندرية .

— كم ستمكثين هناك ؟ .
— أسبوعين .
— هل فى بيت زو ... فى بيتك تلتقون .
—أنا التى سأطلبك .
— ما اسم زوجك ؟ .
— هل يهمك أن تعرف .
— كل الأهمية .
— حمدى اسماعيل .
— فى أى درجة هو .
— ما هذا التحقيق .
— لابد أن أعرف كل شىء .
— فى الدرجة الثالثة ومرشح للثانية وعنده عزبة .
— فهو كبير فى السن .
— فى الثلاثين .
—أكبر منك بكثير .
— مع السلامة يا أمين .
— كلمينى بمجرد عودتك .. ولو اقتضى الأمر أن تكلمينى أمامه .
— مع السلامة .
— مع السلامة .. حافظى على صحتك .. إن تضايقت اطلبينى وسأفعل كل ما يرضيك مهما تكن العقبات .

— حافظ على صحتك .
— لم يعد لها لزوم .
— من أجلى .
— ألم تقولى وداعا .
— ولكنك قلت إلى اللقاء .. حافظ على صحتك من أجلى مع السلامة وأقفلت .

لم أستطع أن أمنع دمعتين تسللتا إلى عينى على غفلة منى وتركت ماكنت أعمل فيه وجلست صامتا يشتعل داخلى بالغيظ والثورة . أيستطيع المال أن يتسيد حياة الناس إلى هذا الحد . أكل مايمنعنى عن حميدة هو هذا المال . أكان لابد لى أن تكون عندى عزبة ألا يغنى شبابى عنها .

جاء عم مديولى .
— البك يطلبك .

كدت ألعن أباه وأبا البكوات جميعا ولكنى سكت ولم أنظر إليه وكأنى لم أسمع . ولم أدر كم من الوقت مرحين دق جرس التليفون بجانبى فانتفضت مذعورا فقد كنت بعيدا كل البعد عن واقعى . ورفعت السماعة فى خفة لعلها هى مرة أخرى .

... لم تكن هى .
— أمين .
— نعم .
— أنا سامى لماذا لم تأت .

— نعم .. آه حاضر ... حالا .
وقفت لأرى فيما يريدنى .

حين دخلت المكتب وجدت سيدة جالسة أمامه وفى يدها مبسم فى داخله سيجارة ... السيدة أنيقة بصورة لابد أن تبهر من يراها ... وأناقتها تجعلها جميلة بدون وجه حق .. وعلى أية حال ان الذى يواجهها لا يملك إلا أن ينعم النظر فيها .
وأغلب الأمر سيعتبرها جميلة .

— شهيرة هانم الخليلى صاحبة محلات الشوا .
— أهلا وسهلا .
— أمين سليم زميلنا فى المكتب .
ولمحت فى عينيها نظرة إعجاب وهى ترمقنى .
— أهلا وسهلا .
— شهيرة هانم تريدنا أن نشرف على حسابها .
— تحت أمرها .
— تذهب إليها وتنظم الدفاتر .
— تحت أمرك يا افندم .

* * *

كنت عندها فى الغد . المحل غاية فى الأناقة . عندها كاتب حسابات ولكن يبدو عليه أنه متخرج من مكاتب الدوائر الزراعية فطريقته فى امساك الدفاتر لا تتفق مع المحال التجارية .

شهيرة هانم لم تخف اعجابها بى . وقد ظهر لى من النظرة الأولى لحسابات المحل أن حالتها المالية رائعة . .

رأيت أمامى فرصة تستحق أن أمعن فيها النظر .
— شهيرة هانم مجرد زيارة أو اثنتين لا تكفى .
— أنا لم أقل زيارة أو اثنتين .
— أنا سأضع نظاما جديدا للاستاذ عبد التواب وسأداوم على الزيارة إلى أن أطمئن على سير العمل .
— ماهذا الكلام الفارغ . أنت تظل تأتى دائما . أنا أريد ، حساباتى أن تكون فى أيد خبيرة .
— البركة فى الأستاذ عبد التواب .
— وما البأس .. الأستاذ عبد التواب مستمر فى عمله وأنت تأتى دائما .

* * *

توثقت صلتى بشهيرة هانم فأصبحت تطلب منى أن أؤدى لها خدمات فى الحكومة أو الجمارك وكانت تمنحنى مكافآت خيالية مقابل كل عمل أقوم به .

وفى يوم طلبت إلى أن أسافر إلى الاسكندرية لأخلص لها بضائع فى الجمرك وأديت المهمة فى نجاح تام وحين عدت طلبتها فى بيتها وقبل أن أشرح لها مافعلته .
— تعال .

— إلى أين ؟
— إلى البيت .

* * *

شقة فاخرة بالزمالك وأثاث غاية فى الأناقة . وكانت هى كعادتها فى اختيار أجمل الملابس .

— أتعبتك معى كثيرا .
— أحب هذا التعب .
— هكذا الوحدة فى الدنيا .
— لا يعقل أن يكون هذا الجمال وحيدا .
— زوجى مات بعد الزواج بسنة وبضعة أشهر .
— محلات شوا كانت ملك زوجك .
— أبدا أنا التى فتحتها حتى أشغل نفسى .
— الحقيقة ياشهيرة هانم .
— أشطب هانم .
— أنا أعمل عندك .
— أليس عندكم فى الحسابات شىء اسمه الشطب .
— أتعرفينه ؟
— فانا آمرك أن تشطب هانم .
— شطبناها .. الحقيقة أننى أراك صغيرة على كل هذا الجهد .
— تستطعين أن تتمتعى بوقتك أنا أعتقد أن حالتك المالية ...

— لا ... من هذه الناحية الحمد لله .
— المحل نفسه لو بعته ...
— لا ... لا ومن غير بيع المحل .
— كيف .
— أنا عندى عمارة حديثة وأتفاوض فى شراء أخرى .. من هذه الناحية لا ...
— إذن فلماذا تعملين .
— المؤكد أننى لا أعمل للربح .
— وهل هذا معقول .
— لو كنت وحيدا مثلى لعرفت أن هذا معقول جدا . .
— ومن أدراك أننى لست وحيدا .
— من عرف الوحدة يعرف زملاءه .
— لى أقارب وأصدقاء ولكنى مع ذلك وحيد .
— إذن فحالك كحالى .
— الوحدة يشعر بها الإنسان فى داخل نفسه .
— أتشعر بها .
— وأنا مع أصدقائى أو أقاربى دائما أشعر بوحدة .
— كأنك تتكلم عنى .
— عجيبة !
— وما العجيبة .
— أنا الآن فقط لا أشعر بالوحدة .

— اننى أبحث عن وحدتى فى داخلى فلا أجدها .
— أتعنى ما تقول .
— أول مرة نتحدث فى غير العمل تجعلين من الوحيد المزمن شخصا يشعر أن الدنيا جميعا أهله وأصدقاؤه .
— العجيب أننى أيضا شعرت بهذا الشعور وأنا اتحدث إليك .
— أذن فلماذا تشعر بالوحدة ؟ .
— ماذا تقصد ؟ .
— ألم تفهمى ؟ .
— الذى فهمته غير معقول .
— بل أعتقد أنه هو المعقول .
— أنا أكبر منك .
— بسنتين أو ثلاث .
— بل بأكثر من هذا .
— تبدين لى أصغر منى .
— هذا لا يغير الحقيقة .
— الحقيقة الوحيدة هى التى أشعر بها أنا وتشعرين بها أنت .
— لعل جلستنا وتكاشفنا خلقت جوا من التقارب بيننا ليس من الطبيعى أن نبنى عليه حياتنا كلها .
— مادمنا تكاشفنا وتقاربنا فمن الطبيعى أن نظل متقاربين .
— فكر فى الأمر .
— أنا لا أحتاج إلى تفكير .

— أذن فأنا أحتاج إلى تفكير .
— أمرك .

* * *

— ١٠ —

كان محل شوا هو هدية زواجنا ... باعته لى وسجلته دون أن أدفع مليما واحدا من ثمنه، ومع هذا كانت عمتى غاضبة على ... الآن لم يعد يهمنى غضبها أو رضاها حاولت هى وعمى بكل جهدهما ألا أتم هذا الزواج فلم ألق إليها أو إليه بالا . انهما لا يريدان أن أحدا يكون غنيا مثلهما . وحين حاول أبى أن ينصحنى رأى فى عينى أننى لا أدين له بشىء فكانت محاولته واهية هينة .

أما وصفية فقد فكرت أن تنتقل إلى بيتى الجديد مع شهيرة ثم مالبثت أن تبينت أن وضعها هناك لن يكون مريحا إلى جانب أن صلاتها بصالح السائق قد توطدت ولعلها كانت مقدمة على الزواج منه وقد فهمت منها أنها تعرف حاضنة ستمكنها أن تزف إلى عريسها ويتم الزواج وهو يعتقد أن زوجته غاية فى الشرف والعفة .

موقف هناء هو الذى أدهشنى فعلا .

— ستتزوج .
— نعم .
— الم يكن من الطبيعى أن تخبرنى وأنت فى الخطوات الأولى .

— المسألة جاءت فجأة .

— فجأة يا أمين .. ألمثلى تقول هذا الكلام .. لقد نويت الزواج من شهيرة منذ أول يوم رأيتها .

— أبدا وشرفى .

— أمين فتح عينيك ... أنا هناء .

— أنت زعلانة .

— أنت مغفل .

— هل أنت ظننت يوم عرفتك أننى أنوى الزواج بك .

— لعلك فكرت أننى لن أتزوج .

— يامغفل ان الرجال هم حرفتى .. أنا أعلم أنك ستتزوج منذ أول يوم قبلتك فيه .

— والآن .

— متى ستتزوج ؟.

— الخميس القادم .

— طبعا عمتك غاضبة عليك .

— كيف عرفت .

— العروس أكبر منك والمال ليس مشكلة فى نظر عمتك .

— لعلها تريدنى أن أظل محتاجا إليها .

— ربما أيضا .. المهم أنت مفلس كالعادة .

— يعنى .

— خذ ... هذا المبلغ وانفق منه أمام عروسك .

— هناء ... هذا غير معقول .

— يامغفل هذا هو المعقول .. لا تظهر جشعك منذ اللحظة الأولى. ان احتجت لأكثر قل لى ولا تقل لها .

— أتدعو لى لأنك تحبنى .

— طبعا .

— كذاب .. انه أنا التى أحبك أما أنت فلا تعرف الحب ..

— أنا لا أعرف الحب ؟ .

— صعب عليك .

— تظلمينى .

— أمين انت الذى تظلم نفسك دائما .

وحين خرجت من بيتها وجدتها قد أعطتنى مائتى جنيه كنت فى أشد الحاجة إليها لأنفق على خروجى مع شهيرة .

* * *

حين تم الزواج لم أفكر أن أترك مكتب المحاسبة رغم أن المحل يستطيع أن يشغل وقتى جميعا . ولم يعد المرتب الذى أصيبه من المكتب ذا قيمة بالنسبة لى . ولكننى مضطر أن أبقى حتى تكلمنى حميدة .

كان قد مر على آخر مكالمة شهران وهى تتصل بى . وخشيت أن أترك المكتب . فلا تعرف لى مكانا تلتمسنى فيه .

وحين مر من الشهر الثالث يومان .

— كيف أنت ؟ .

— متى جئت ؟

— أمس .

— أكل هذا الشهر عسل !

— أحس أننى لا أحبه فسافرنا إلى أوروبا .

— وأحببته ؟

— الحقيقة أنه يعاملنى معاملة غاية فى الرقة .

— إذن فقد أحببته .

— إنى أكلمك فى التليفون .

— أهذا يكفى .

— يكفى لأن تعرف مشاعرى ..

— حميدة أتعرفين كم أحبك ؟ .

— بل أعرف كم أحبك .

— لقد تزوجت .

— ماذا ؟ !

— وأصبحت اليوم غنيا .

— ماذا ؟ !

ورويت لها كل شىء ... لم أخف شيئا .. وعرفت تليفون عملى وبيتى . لقد أحسست أن زواجى لا صلة له بحبى لها .

* * *



تفرغت تماما لمحل الشوا وعرفت كيف يكون الغنى .. شعور يلقى إلى القلب خدرا هانئا .. لا يضايقنى شىء إلا طمع الفقراء . عبد التواب وعمال المحل لا يكفون عن طلب العلاوات والمكافآت . ان هؤلاء الفقراء يتمتعون بنوع من السعار إلى المال . ولا يكفيهم شىء ولا يشكرون أبدا ويتمنون دائما أن تخربوابيوت الأغنياء ليحصلوا على كل أموالهم .. انهم قوم خاملون يريدون المال أن يأتى اليهم ساعيا وهم خاملون لا يسعون لنيله . وهم سفلة .. يستطيعون دائما أن يضعوا على ألسنتهم المديح للأغنياء والدعاء لهم فى نفاق مقيت واننى واثق كيف يذكروننى فى همسهم بالسخرية والنكات التى لا يملكون غيرها ولا يجهدون أنفسهم إلا فى تأليفها واطلاقها وروايتها . كم هم منحطون هؤلاء الفقراء ... لا يعرفون كيف يصلون إلى المال ويحقدون على كل غنى ذى مواهب . ولقد أعلم أنهم يقولون عنى انى بعت شبابى من أجل ثرائى واننى تزوجت ممن هى أكبر منى لأصل إلى ما وصلت إليه من غنى . لو كانوا يملكون مواهبى أكانوا يتأخرون عن الاقدام على ما أقدمت عليه ..

ثم .. ماهذا المجتمع .. لماذا تواضع الناس فيه ألا يعيش الانسان على نفقة زوجته .. لا شأن لى هنا بما يقول به الدين . فالمجتمع لا يسير على أصول الدين فى كل خطواته .. إذن فما العيب أن أعيش على نفقة زوجتى .. انها صفقة مثل كل الصفقات .. أقدم بها السعادة والشعور بأنها مرغوبة محبوبة وتقدم لى المال .. أى مال يساوى ، لحظات السعادة التى أقدمها إليها .

وما الهدف من هذه الحياة جميعاً . . وفيم سعى هؤلاء الناس جميعا .. أليس كل ماتصبو إليه آمالهم لحظة سعادة يدفعون فى سبيلها كل شىء .. بل فيم ذهابى أنا إلى الشقة التى أخذنى إليها فتحى .. ألا أحاول أن أحصل على لحظة سعادة . . وفيم ذهابى إلى هناء ..؟ كل سعى الناس من أجل لحظة سعادة .. وأنا أهب لزوجتى شهيرة لحظات ولحظات من السعادة ، فما البأس أن تقدم لى المال . وأى شىء أروع من هذه اللحظة .. ماذا يستطيع المال أن يقدم لها أجمل وأبدع من هذه اللحظات التى أقدمها إليها .

وعلى أية حال فيم هذا الدفاع الطويل ... كأنى أشعر أننى مخطىء وأننى أحتاج إلى دفاع . لكم أثر فينا مجتمعنا الجامد هذا وأقام فى نفوسنا ألوانا من القيم كأنها أصنام لا يحطمها عقل أو منطق .

اننى سعيد بحياتى هذه وليس يعنينى فى شىء ما يقوله الناس أجمعون . وفى آخر الأمر المال هو الذى يكسب دائما .

لم تقاطعنى عمتى بل كانت تزورنى ويزورنى معها فى كثير من الأحيان عمى زكريا وأبى .. عظيم أبى هذا .. لقد أصبح صديقاً حميما لزوجتى . وكثيراً ما رجعت إلى البيت فوجدته فيه .. وشهيرة سعيدة غاية السعادة به ولا تناديه إلا مثلما أناديه بابا . وهو سعيد بندائها هذا ، سعيد أيضاً بما يطبخه له الطاهى من أصناف الطعام . ولعله أكثر سعادة بأننى لم أعد أطلب منه مالا . بل والأعجب من هذا جميعاً أنه فى أحيان ليست قليلة يطلب هو إلى أن أسلفه وهى سلف أعطيها وأعلم أنه لن تردصعب هـــذا المجتمع . فنحن

مهما نحاول تحطيم قيوده يعتصرنا بقيمه ومثله . اننى أرفض أن أعطى أى محتاج ولكن أبى هو الإنسان الوحيد الذى لم أستطع أن أرفض له طلباً . والعجيب أننى أشعر بشىء من السعادة وأنا أعطيه . ولكن ألا يعرف أبى ما هذا المــال الذى أعطيه له .. ألا يعرف البضاعة التى أقدمها لأحصل على هذا المــال .. ألم يفكر أن هذا المــال هو شىء ثمن شبابى وأجمل فترات حياتى أقضيها مسفوحة فى رمال سيدة تكبرنى تزوجت بها لأنها غنية وليس لأى سبب آخر .. لعله يعلم ولعله لا يعلم ولكن ماذا يهم ما دام يحصل على ما يريد من مال ..

لم يكن شبابى وحده هو الذى أقدمه ولكنى أقدم كثيراً من حريتى أيضاً فشعورها بأنها تكبرنى وبأنى شاب وجميل يجعلها دائمــاً تحيطنى بنطاق من الغيرة ضيق وعنيف . إن رأتنى أكلم زبونة بشىء من التلطف أو ان تأخرت خارج البيت تحاسبنى محاسبة دقيقة ولا رحمة فيها ولا إشفاق . ولكنها كانت تسمح لى أن أذهب إلى أصدقاء فتحى مرة فى الشهر موهمة نفسها أنها بذلك تهيىء لى نوعاً من الحرية . ولهذا كنت أختلس أوقات ذهابى إلى هناء اختلاســا .

ولا أدرى لمــاذا أبقيت على علاقتى بهناء .. المؤكد أن حفاظى على هذه العلاقة لم يكن عن وفاء .. فأنا أعتبر الوفاء نوعاً من الضعف الذى يعيق الإنسان أن يصل إلى آماله التى ينشدها لنفسه فى الحياة . ولو بذلت هذا الوفاء لكل من قدم لى معروفاً لمــا بقى لى شىء من حياتى أقدمه لنفسى ولمستقبلى . ربما كان إبقائى

على هذه العلاقة عادة لا أرى داعياً لقطعها . وربمــا كان محاولة منى أن أشعر بأننى ما زلت حراً أستطيع أن أكون بعيداً عن زوجتى أختار ما يحلو لى ما أشاء من علاقات . الحقيقة أننى لم لم أحاول أن أفكر فى أسباب محافظتى على صلتى بهناء . كل ما أدريه أننى لم أحاول أن أقطعها ولم أفكر فى ذلك أيضاً .

* * *

كانت حميدة تتصل بى فى المحل من حين إلى آخر وقد أحسست من أحاديثها أنها تحاول أن تتقبل ما سارت إليه الأمور ولكن محاولاتها تذهب سدى .. لم تستطع أن تحب زوجها وهى تعلم أننى أيضاً لا أحب زوجتى وأن كلينا يعيش حياة فرضت علينا .. أما هى فقد فرض أبوها عليها حياتها وأما أنا فقد فرضت على نفسى الطموح حياتى ... ولكن أيفيد هذا الآن .. هى زوجة لغيرى وأنا بطبيعة الحال زوج لغيرها . والمفروض أن حياة كل منا قد افترقت عن الأخرى كل فى طريق ولكنها مع ذلك تكلمنى وتعرف دقائق حياتى وأعرف دقائق حياتها . فالطريقان وإن كانا شتى إلا أن بينهما وصلة تبدو حينا واهنة هينة وتبدو أحيانا وثيقة عملية حتى إذا أفاق كل منا إلى الحقيقة عرف كم يبعد كل منــا عن الآخر .

تقول لى ان أمها غاضبة لأنها لم تحمل وتنجب طفلا مع مرور سنوات على الزواج وأكاد أفهم أنها هى التى تمنع هذا الحمل أن يتم .

وحين طالعتني شهيرة بهذه الحقيقة جعلتني أنا أيضاً أفكر أنني لم أنجب وأن شهيرة لم تحمل .. إلا أن أحداً لم يثر معي هذا الأمر .. ومن يثيره ... أما أبي فلا يهمه إلا أن يجد المال بين يدي وبيتي مفتوحاً له وقتما شاء . وأما عمتي فلا شك أنها تأمل ألا أنجب أطفالا حتى لا يتوثق زواجي .فهي وإن كانت لم تقاطعني إلا أنها في دخيلة نفسها لم ترض عن الزواج كل الرضا .

ولكن شهيرة لم تفكر أيضاً أن تنجب طفلا مع أنه من الطبيعي أن تظن أنها لو جاءت لي بابن أو ابنة لأصبح زواجنا أكثر ثباتاً وأصبحت هي أكثر اطمئناناً .

— لماذا لا تنجب أطفالا ؟

— أيهمك هذا ؟

— مجرد سؤال .

— ما كنت تسأله لو لم تكن مهتما .

— أتظنين أنني أهتم بالأطفال ؟.

— ولهذا تعجبت من سؤالك .

— كنت أعتقد أنه يهمك أنت أن يكون لنا أطفال .

— يكفيني أنت .

— ألا تحاول ؟

— إن شئت .

كنت خبيثاً في سؤالي الأخير هذا فأنا لا يعنيني أن أنجب أطفالا من شهيرة بالذات ولكنني سألت هذا السؤال لأعرف مقدار

اهتمامها هي وقد أدركت فيما يشبه اليقين أنها حاولت مع زوجها الأول وتبينت أنها لا تستطيع أن تعطي لزوجها أطفالا .

وكان هذا الحديث هو آخر ما دار بيننا من حديث في هذا الشأن .

— ١١ —

ظن فتحي أن صداقتي به وجلوسي معه في جلسته الشهرية يتيح له أن يأتي إلي .

— ما رأيك ؟

— فيم ؟.

— أنت الآن غني .

— الحمد لله . .

— والبحر يحب الزيادة .

— والله لا مانع .

— ما رأيك في المشروع القديم ؟

— أي مشروع ؟

— مكتب محاسبة .

— ماذا ؟

— نفتحه معاً .

لماذا يظن الفقراء دائما أنهم أذكى من الأغنياء ... ابن الكلب هذا يعلم أنني لست محاسباً من الطراز الأول ولكنه يريد أن

يستغل نزوتي في أن يفتح مكتباً أنفق عليه أنا ويكسب منه هو . اعتذرت إليه فاذا هو يقول في صفاقة عجيبة .

— طيب هل لديك مانع أن تسلفني مبلغاً أفتح به مكتباً وأرده إليك بعد سنة واحدة ؟ظهر على حقيقته .. هذا هو الأصل في الطلب اضطر أن يصارحه به لما فشلت الحيلة الأولى .

— وإن لم يكن عندي ما أسلفه تزعل .

— أبداً .

— ونظل أصدقاء ؟.

— ونظل أصدقاء.

— طبعاً .

— إذن فكأنك لم تطلب وكأنني لم أعتذر .

لقد أصبحت ذا مرانة واسعة في رد الطالبين والطامعين . هؤلاء لا تكفيهم عيون من الأموال جارية . يريدون أن يناموا ونعمل نحن لهم السفلة .

❋ ❋ ❋

كنت في المحل حين دق جرس التليفون .

— كيف حالك ؟

— ما أخبارك ؟

— أنا في بيت أبي .

— ماذا ؟

— أبي متعب جداً .

— ماذا به ؟

— نوبة قلبية مفاجئة .

— هل أستطيع أن أصنع شيئاً ؟

— ادع له .

— من أجل عينيك فقط ولو أنه حرمني سعادة عمري .

— إنه أبي .

— ربنا يشفيه إن شاء الله .

— مع السلامة ..

— مع السلامة ..

ليست المسألة مجرد مرض أبيها .. إن لهذا المرض عواقب بعيدة رحت أفكر فيها . لقد كانت كلما حاولت التخلص من زوجها يرغمها أبوها أن تبقى فلو أن أباها مات ما الذي سيبقى عليها مع زوجها .

أيمكن أن يتحقق الأمل ؟ !

أما يزال أملا ؟ !

بعد كل هذه السنوات الطوال ما زال هذا الأمل يداعبني .. أحب هذا أم تمسك بأيام الطفولة الباكرة أم إصرار أن أحقق كل ما تاقت إليه نفسي .

إن يكن حباً .. أيبقى الحب طوال هذه السنين .. فأنا إذن وفي وأعرف في نفسي أنني لست وفيا ولم أكن وفياً لأحد حتى أكون وفيا لهذا الحب . ولكن المؤكد أنني أريد

أن أتزوج حميدة حتى وإن كانت قد تزوجت وطلقت .

لعله إصرار أن أنفذ هذا الأمل الذى تاقت إليه نفسى . فأنا أحب أن أنفذ كل ما تتوق إليه نفسى وخاصة هذه الأشياء التى منعنى الفقر أن أنفذها وعلى رأسها زواجى من حميدة. لست أنسى شعورى يومذاك وأنا مهزوم حسير تنصب علىّ شفقة عمتى كأنها النار اللاهبة. فأنا أكره أن يشفق على أحد . وأكره أن تنظر إلى عمتى وزوجها كأننى شئ صنعاه ولا يطيق العيش بغير معونة منهما.

ولهذا تزوجت من شهيرة ليعرفا أننى أستطيع أن أعيش فى مثل غناهما ودون حاجة إليهما . وكنت حريصا دائماً أن يشهدا مظاهر الغنى تحيط بى. فالسيارة مرسيدس، وحلتى من أحسن قماش، والشئ الذى أحرص دائماً أن يكون باذخ الأناقة هو رباط عنقى فقد كنت دائماً أحسد زوج عمتى على رباط عنقه . كما كنت أحسد وجدى على أناقته التى كانت تبدو عليه وكأنها ولدت معه . كان من ذلك النوع الذى يبدو أنيقاً فى أى ملبس يلبسه .

والعجيب أننى لم أصل إلى هذا السر أبداً. فقد ألبس أفخر الملابس وأغلاها ثمناً وألتقى به فاذا هو لايلبس إلاالملابس العادية ولكنه دائماً يبدو أكثر منى أناقة. كانت الأناقة معلماً من معالم جسمه.

لو يعلم وجدى هذا كيف أثر فى حياتى ؟ !!

مالى أذكره اليوم ؟ لقد حرصت ألا أذكره لفترة طويلة حتى خلت أننى نسيته فما له ينبت فجأة فى كيانى يلح على كمرض قديم عاودنى بعد أن توهمت أننى تخلصت منه إلى الأبد .

لقد نجح فى كل شئ سار فيه ... كان أول دفعته فى الزراعة وعين معيداً بالكلية وهو اليوم يوشك أن يصبح أستاذاً .

واشترى له أبوه قطعة أرض يوم تخرج فاذا هو يشرف عليها وإذاهى مزرعة نموذجية يأتى إليها الناس من الداخل والخارج ليشهدوا التقدم العلمى والعملى الذى حققه فيها .

وتزوج من أسرة ثرية .. ترى أتحبها .. المؤكد أنها لا تحب أحداً .. هل يستطيع أن يحب شخصاً مثل وجدى .. إنه دائماً جاد .. حتى حين يمزح تراه يمزح فى ثقافته .. ثقيل الظل .. ولكنه ناجح .. حقق كل ما أراده لنفسه أن يحقق وماله لايفعل؟ لقد كانت الظروف مواتية له دائماً تلقى بنفسها تحت أقدامه لو حاول أن يفشل لما استطاع .

أين هو منى؟ تربى فى بيت أبيه وربيت فى بيت غير بيت أبى حتى وإن كان بيتاً أغنى ولكن شعورى بأننى فى غير مكانى ... أكنت أشعر بهذا أم أنا أختلق الأعذار .. ولماذا أختلق الأعذار .. إن كان وجدى ناجحاً فأنا اليوم ناجح .. قد يظن الناس غير ذلك عند المقارنة ولكن ماذا يعنينى من رأى الناس؟المهم ما أرى أنا ..

أنا تمتعت بحياتى .. أتمتع وجدى بحياته .. هل المذاكرة والنجاح والتقدم متعة أم الحياة التى خضت غمارها هى المتعة .. أعرف امرأة مثل هناء .. أيعرف وجدى كيف يتمتع بالمال .. إنه حمار ... حمار وإن قال الناس غير ذلك .

مستقر هو فى زواجه وأنا أعلم أن زواجى غير مستقر .. بل إننى أعجب كيف استمر هذه السنوات .. وماله لا يستمر .. إيراد المحل أضعه فى البنك وشهيرة هى التى تنفق على البيت وأنا مع هناء إن ضقت بشهيرة ذرعاً .. ولكن الجهد الذى أبذله فى الإبقاء على هذه الحياة كبير .. لم أكن أحس به وأنا فى الأيام الأولى من الزواج ولكن الزمن لا يعفى أحداً .. وأنا اليوم أحس فى كثير من الأحيان بنوع من الوهن والخمول والكسل لم أكن أعهده فى نفسى ... ولقد أستعين عليه بهذه الجلسة مع فتحى وصحبه .. أو قد أستعين عليه ببعض دواء أوبعض خمر ،ولكنها أشياء إن أفادت لحظة فلن تفيد فى اللحظة التالية ... أنا أخاف من الزمن .. وأخاف أن يدركنى الكبر مبكراً لكثرة ما أنفقت من الشباب . وشبابى هو رأسمالى وإن كان المحل وإيراده يلقيان إلى نفسى كثيراً من الاطمئنان .. إلا أن المحل لا يستطيع أن يسير وحده .. إنه يحتاج إلى كثير من الجهد .. وأنا اليوم تعودت حياة لاأستطيع أن أغيرها ..

ترى لو طلقت شهيرة ماذا يحدث ..

قد تثور .

وماذا يهم ؟

لقد وهبت لها أمتع سنوات حياتها ولم أطالبها أن تنجب لى أطفالا وكل ما قدمته لى محل كانت قد فتحته لتسلى نفسها بالعمل به . ومنذ تزوجتى أصبحت سيدة لاعمل لها إلا الاهتمام بجمالها

وما يبقى عليها رمق الشباب وأثارة من مائه .. وأصبحت تحرص على الحضور فى المآدب والذهاب إلى النادى فى تشبث مرير بمظاهر الصغر . وأشهد قد ناضلت السنين حتى أجهدت السنين ولكن للزمن غدره .. إن أوهم لحظة أنه انهزم فما هى إلا أن يتجمع مرة أخرى ويحشد كل قواه ويهاجم فاذا حصن الشباب مشيب وإذا الفتى شيخ والفتاة عجوز .

ترهلت شهيرة وتهدلت وجناتها ونضب من عينيها بريق السطوة الشامخة ليخلف وراءه نظرة حائر تطالعنى بها كلما التقت منا العيون وكأنها تسألنى أأظل معك يوماً آخر أم حان موعد الفراق ..

إذا كنت سأتزوج حميدة فلا بد أن أهب نفسى فترة أستجم فيها من شهيرة وهناء على السواء. إن هناء أصبحت لا تبعث فى نفسى إلا الملل ولم أعد محتاجاً إلى المال منها، ولولاأنها ما زالت أجمل من شهيرة وأكثر شباباً لتركتها من زمن طويل .. إننى أعتقد أننى أصحبها كسلا أن أبحث عن غيرها فإذا كان مقدراً لى أن أتزوج من حميدة فلا حاجة لى بهناء..وعلىّ بعد ذلك أن أبذل جهدى لإرضاء حميدة وحدها فما عدت أستطيع أن أجمع إليها أحداً .

فكرت ولم أطل التفكير .. أنا لم أسافر إلى الخارج أبداً فما لى لا أسافر الآن . سافرت وطفت بانجلترا وفرنسا وسويسرا وإيطاليا ... وتمتعت برحلتى فى المشاهدة . لم أعن بالمتاحف التى يقولون عنها وإنما كانت متعتى جميعاً فى ليالى هذه البلدان مكتفياً بالمشاهدة دون المشاركة وحين عدت لم يمر على عودتى يومان

حتى جاءنى التليفون المرتقب من حميدة . لقد مات أبوها وطلقت من زوجها .

لم يعد بيننا اليوم ما يمنع الزواج .. كل ما هنالك أن أطلق شهيرة وأنتظر شهور العدة .

مكثت بالقاهرة أسبوعاً ثم أخبرت شهيرة أنى مسافر إلى الإسكندرية وزعمت أنى سأتسلم بضاعة من الجمرك . ومن هناك أرسلت إليها ورقة الطلاق . كلمت وجدى فى التليفون وطلبت إليه أن يذهب إلى بيتى .. أقصد بيت شهيرة ويأخذ كل أشيائى ولم يحاول أن يعتذر فهو يعلم أن ليس لى شخص آخر يستطيع أن يقوم بهذه المهمة .. ولم يسألنى أين يذهب بهذه الأشياء، فقد ظن أن من الطبيعى أن يذهب بها إلى بيت أبيه، ولكننى أخبرته أن يذهب بها إلى بيت أبى أنا .. فهذا هو المكان الطبيعى الذى كان يجب أن أكون فيه دائماً وإن كان المحال قد عاق أبى أن يعولنى فلا بأس أن أعول الآن أبى بمالى أنا .

* * *

تزوجت من حميدة .. أخيراً تزوجت من حميدة ... أيام الزواج الأولى هى أجمل ما مر بى من أيام .. لقد حققت كل ما أردت فى الحياة .. عشنا فى بيت أبى بعد أن جددت كل شئ فيه من أثاث وجدران . وحتى أبى جئت له بحجرة نوم جديدة .

قضيت وحميدة شهر العسل بالإسكندرية فهى لم تشأ أن تقضيه خارج مصر . وحين عدنا إلى البيت وتناولت أول غدائى

فى بيت أبى مع حميدة وأبى خيل أننى أصبحت ملكاً على الدنيا بأسرها .

وما لبثت الأيام الحلوة أن مرت سراعاً .. وما لبثت همتى أن خمدت . فأكثرت من الذهاب إلى أصدقاء فتحى .. وكم فرحت حين أخبرتنى حميدة أنها تحمل لى طفلا .. إذن فالحياة تفرش لى من السعادة ما حرمتنى منه السنين الطوال .

نهاية النهاية

أصدقاء فتحى والجوزة هم تسليتى فى هذه الأيام . ولكن اليوم حدث شئ عجيب . لقد قالوا لى بدلا من أن تدخن خذ قطعة من المخدر واشرب عليه فنجان قهوة سادة .

وفعلت وأنا أكتب الآن وأنا أحس كأن حياتى تطبق على صدرى حتى ما أحسب أننى أستطيع أن أكمل ما بدأت .. ألا أرى ابنى .. أتذهب حياتى كلها نهباً لحفلة مجنونة حسبت أنها ستمدنى بالسعادة والهناء .. ألهذا الحد تعبث بنا الحياة فتضع لنا الموت فى كأس الأمانى .. ألهذا الحد تخادعنا الحياة .. ولكننى مع ذلك أحبها ... وأريد أن أعيش ولا أريد أن أموت ... لا ... لا لا أريد أن أموت ؟

ثروت أباظة

مطبعة نهضة مصر